

الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأنظار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ عن العدد الواحد

الأعلانات يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المشرف
أحمد حسن الزيات

إدارة

بشارع البدولي رقم ٣٢

عابدين - القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ١٠٧ « القاهرة في يوم الاثنين ٢١ ربيع الثاني سنة ١٣٥٤ - ٢٢ يوليو سنة ١٩٣٥ » السنة الثالثة

١ - محمد حافظ إبراهيم

بمناسبة ذكره الثالثة



كان الجيل
للماضى بمصر لا يزال
يعيش على بقايا
تخلفت من تقاليدنا
الجميلة في الجماعات
والأسر، والناس
يمحرون على أثر
من خلال الفتوة،
يرتاحون للنسب،

ويتناقسون في العرف، ويهتزون للبطولة، ويطربون للبيان،
ويحيزون على الشعر؛ و(مناظر) الدور وأبهاء القصور تأخذ
في كل مساء زخرفاً من أهل الأدب ورجال السياسة وأصحاب
الجاه وأرباب الحكم؛ وكان مدار الحديث فيها على التكلفة
البارعة، والخبر الطريف، والمسألة الدقيقة، والبلاغة
المأثورة، يتساقطها السامعون على محض المودة ووثوق الألفة،

فهرس العدد

صفحة	
١١٦١	محمد حافظ إبراهيم : أحمد حسن الزيات
١١٦٣	صنعة التوبة : الأستاذ مصطفى صادق الرافعي
١١٦٧	صالح الأبيار : الأستاذ محمد عبد الله عثمان
١١٧٠	خواطر وأفكار : الأستاذ أديب عباسي
١١٧٣	التبضة التركية الأخيرة : الدكتور عبد الوهاب مزاحم
١١٧٥	طائفة البحري في الهند : محمد نزيه
١١٧٧	حافظ بك إبراهيم : السيد أحمد السجاني
١١٨٠	حول الفقه الإسلامي : الأستاذ صالح بن علي الحامد والفقه الروماني : العلوي
١١٨٤	نهر النيل في رأي ابن خلدون : رشوان أحمد صادق
١١٨٧	في أوطانهم غرباء (قصيدة) : الأستاذ جميل صدق الزهاوي
١١٨٨	للأستاذ : أحمد الطرابلسي
١١٨٩	نظريات جديدة في فهم : لكتاب فرنسي القوية والمجتمع
١١٩١	ببشي وكوييد (قصة) : الأستاذ دريني خشبة
١١٩٦	حول كتاب فتح العرب لمصر : للأستاذ محمد فريد أبو حديد وفاة دريغوس
١١٩٧	المتأخر : محمود صاف أبو الشباب - منتدى النشر بالجوف للمؤتمر الدولي السادس لتاريخ الأديان - أحب شاعرة إلى الانجليز
١١٩٨	استدراك : الأستاذ علي الطنطاوي
١١٩٩	مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين - التيسير في القراءات بالسبع - (مكتبان) : للأستاذ محمد بك كرد علي

فتفتق الذهن ، وتصلق الذوق ، وتوجه الميل ، وتنبيل الخطوة ؛ وكانت المواهب والمكاث تفتتح في جوانب هذه الأندية فتدل على نفسها أهل النفوذ فيُشبهون عليها حتى تزهر وتثمر ؛ وكانت النهضة الأدبية والحركة الفكرية يومئذ في طور الانتعاش ، تتحركان للنمو والسمو على نفحات الرصني والبارودي والافغانى وعبيده وسلمان وحزمة والشنيطى واليازجى ولوليلى ونديم وسند وفتحى ومصطفى وقاسم ؛ فالجالس تشيع حر الكلام ، والصحف تذيع بارع النقد ، والخبيريون يتخذون من الأدباء ندامى ، ومن الشعراء بطانة ، حتى قر في نفس حافظ وأنداده من ناشئ الشباب الطامحين أن الأدب كان سبيل الثراء (لبنى) ، وسبب المجد (لسامى) ، ووسيلة الزلفى (لشوقى) ، فتجهز لهذه الغاية بجهاز هذه البيئة ، فروى رقائق الشعر ، وجمع مقطعات الحديث ، وراض نفسه على معاناة القريض

كان عمر حافظ ستين حين توفى أبوه فقيراً في (ديروط) ، فنشأ في مهد اليم والتمد لا يجد حانياً غير أمه ، ولا كافياً غير خاله ، تجاز مرحلة التعليم الابتدائى في ضيق وشدة ، ثم قضى بضع سنين في طنطا متبطلاً يُزجى فراغه بالقراءة ويدفع ملاله بالقريض ، ولم يستطع خاله لسبب ما أن يجلو عنه غمة البأس وفلة اليتيم ، فكان لا يتأ متبرماً بالعيش ، متأففاً من الناس ، متجنباً على القدر ، لا ينشئ الشعر إلا في ذاك ؛ ثم دفعته الحاجة إلى مكاتب المحامين — وكانت يومئذ مفتحة الأبواب لكل داخل — فتبلغ من العمل بها حيناً ، حتى أسعفته الفرص فتدخل المدرسة الحربية ، وهى مطعم بصره وحديث أمانيه ؛ ثم خرج منها ضابطاً إلى السودان ليشهد صلف الانجليز وضراعة المصريين ، فيشر مع إخوانه الضباط على جور المحتل وفصول الدخيل ، فينبئ فيمن نئى من السودان والجيش

عاد حافظ كما كان يضطرب في الحياة النائية المهمة ، لا يستريح لعل ، ولا يستقر على أمر ، ولا يتشوف إلى غاية ، لأن طغولته الشاردة المهلة طبيعته على الكسل والملل والتشاؤم والوحشة ؛ ولأن عقيدته التقليدية الخاطئة أن الشعر وحده يشغل

الحياة ، ويبسط الرزق ، ويكسب الحقوق ، أحيته على نمط مسلم ابن الوليد وأبى نواس وأضرايها ، ممن عاشوا صناع الملوك ، وحائل على الجوائز ، ووسائل للهو ؛ فأبى الوظيفة وهى على حبل ذراعه ، وآثر أن يعيش في ظلال الامام محمد عبده ينتفع بجباهه وينى إلى رفده ، وينشئ مع ذلك أبهاء النعمة يسامر أهلها بعذب حديثه ، وينادهم برقيق شعره ، ثم يتطلع الحين بعد الحين إلى صلات القصر فيحجبه عنها شاعر الأمير بحوله وقوله

ومن دأب الشعراء الكاسيين بالشعر أن ينفقوا إلى جد السفه إذا عاشوا في الحاضر كصريع الفوانى وابن هانى ، وأن يسكوا إلى حد الكرازة إذا عاشوا في المستقبل كأبى العتاهية والبحترى ، ومن الأولين كان حافظ

تمتلى يده بالمال اليوم فيعتريه حال من البرم والقلق لا تنفك عنه حتى يتلفه كله قبل الند على إخوانه الكثيرين من طرائد البؤس وصرعى الأدب ، ثم يطارحهم بعد ذلك على مقاعد القهوة الشعر الباكى في لؤم الزمان ، وظلم الانسان ، وشقاء الأديب قطع حافظ مراحل عمره على هذا المنهج البوهيى لا يدخل في نظام ، ولا يصبر على جهد ، ولا يرغب في عمل ، ولا يطنن الى تبعة ، وإنما يضطرب نهاره من قهوة إلى قهوة ، ويتقلب ليله من مجلس إلى مجلس ؛ وأينما كان كان الأنس الشامل ، والظرف الناصع ، والأدب الغض ، والحديث الشق الذى يمتزج بالروح ، وينشر بالشوة جوانب النفس

تقوضت أسرة حافظ وهو فى المهد ، فشب وحشى الطبع ممرى الغريزة لا يتضح في نفسه معنى البيت ، ولا يجرى في حسه شعور الأسرة ؛ ثم وقفت به قناعته الشاعرة عند الحد القريب من معالجة الأدب ، فقصر جهده على صوغ الشعر في المناسبات ، وجمع النوادر للسمر ، حتى بلغ من ذلك مكاناً لا يتماق به درك . ولكنه حين أريد على ترجمة البؤساء ، وكتاب الأخلاق ، ووكالة دار الكتب ، أدركته علة النشأة ، فمقدت به عن القام ، وخذلتة عن الاجادة ، وثلته عن العمل . . .

محمد الزماي

(للكلام بقية)

كُفْرُ الذُّبَابَةِ ...

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

قال كَلِيلَةُ^(١) وهو بِمِصْرُ دِمْنَةُ ومُحَذَّرُهُ ويقضي حق الله فيه ؛ وكان دِمْنَةُ قد داخله الضرورُ وزهاه النصر ، وظهر منه الجفاءُ والنيظة ، ولقى الثالبُ من رَيْبِهِ والحاده عُنَتًا شديداً : ... واعلم يادِمْنَةُ أن ما زعمته من رأيك تماماً لا يعتريه النقص ، هو بينه الناقصُ الذي لم يَمُ ، والضرورُ الذي تُثبِت به أن رأيك صحيحٌ دون الآراء ، لعله هو الذي يُثبت أن غير رأيك في الآراء هو الصحيح

ولو كان الأمر على ما يتخيلُ كل ذى خيال لصدق كلُّ إنسان فيما يزعم ، ولو صدق كلُّ إنسان لكذب كلُّ إنسان ؛ وإنما يدفعُ الله الناسَ بعضهم ببعض ، ليحيى حقُّ الجميع من الجميع ، ويبقى الصغيرُ من الخطأ صغيراً فلا يكبر ، ويثبت الكبيرُ من الصواب على موضعه فلا يُنقص ، ويصحح الصحيحُ ما دامت الشهادة له ، ويفسدُ الفاسد ما دامت الشهادة عليه ، وما مثلُ هذا إلا مثلُ الأرنبِ والملاء

قال دِمْنَةُ وكيف كان ذلك ؟

قال : زعموا أن أرباباً سمعت الملاء يشكمون في مصير هذه الدنيا ، ومتى يتأذن الله بانقراضها ، وكيف تكون القارعة ؛ فقالوا : إن في التجوُّم نجوماً مذنبيةً لو التفت ذنبُ أحدها على جِزْمِ أرضنا هذه لطارت عواءُ كأنها نفخةُ النافخ ، بل أضفت منها كأنها زفرةٌ صدرٍ مريض . فقالت الأرنب : ما أجهلكم أيها الملاء ، قد والله خرفتم وتكذبتُم ، ولا تزال الأرضُ بخير مع ذوات الأذئاب ؛ والدليلُ على جهلكم هذا . — ، قالوا : وأردنهم ذنبها . . .

قال كَلِيلَةُ : وكم من مغرورٍ يُنزل نفسه من الأنبياء منزلةً هذه الأرنب من أولئك الملاء ؛ فيقول : « كذبوا وصدقتم »

(١) كَلِيلَةُ ودمنة هنا أسلوب من أساليب الأستاذ الرافعي يعد إليه حين يريد تقدير المعنى بالتحليل والمجازة (الرسالة)

أنا ، وأخطلوا جميعاً وأصبحتُ ، والنبس عليهم وانكشف لي ، وهم زعموا وأنا المستيقن . « ثم لا دليلَ له إلا مثلُ دليلِ الأرنب الخرقاء من هنةٍ تتحرك في ذنبها . وكان يُقَال : إنه لا يجاهرُ بالكفر في قوم إلا رجلٌ هان عليهم فلم يعباوا به ؛ فهو الأذلُّ المستضعف ؛ أو رجلٌ هانوا عليه فلم يعبا بهم ، فهو الأعزُّ الطاغية . ذاك لا يخشونه فيدعونه لنفسه وعليه شهادةٌ حمقه ، وهذا يخشونه فيتركون معارضته وعليه شهادةٌ ظلمه ؛ وما شرٌّ من هذا إلا هذا . وقالت العلماء : إن كنتُ ساكناً تشق من مخالفتك في الرأي ، فليس في رأسك إلا عقلٌ اسمه الجبل ؛ وإن كنتُ تقتل من ينكر عليك الخطأ ، فليس لك إلا عقلٌ اسمه الحديد ؛ وإن كنتُ تحبس من يمارضك بالنظر ، ففبك عقلٌ اسمه الجدار . أما إن كنتُ تناظر وتجادل ، وتنتع وتنتع ، وتدعو الناس على بصيرة ، ولا تأخذهم بالمعنى - ففبك العقلُ الذي اسمه العقل

قال كَلِيلَةُ : وأنا يادِمْنَةُ ، فلو كنت قائداً مطاعاً ، وأميراً متبعاً ، لا يُعصى لي أمر ، ولا يرد علي رأي ، ولا ينكر مني ما ينكر من الخلق إذا أخطأ ، ولا يقال لي دائماً إلا إحدى الكلمتين : أصبتَ أصبت ؛ ولا يلقي أحدٌ من قري بالكلمة الأخرى ، رهبة من سخطي رهبة الجبناء ، أو رهبة في رضاي رهبة النافقين ، وزعموا أنهم على ذلك قد خلص لي باطنهم جميعاً ، وصحت نياتهم كلها - فلو كنتُ وكانوا على هذا ، لأحاطني تقصمهم إلى نقص العقل بعد كاله ، وردتني فلولهم إلى فسولة الرأي بعد جودته ، فأخلق بي أن أعتبر وضعهم لما في موضع الألفة هو إزالمهم لما في منزلة الشياطين ، وإلا كنتُ حقيقاً أن بصيبي ما أصاب العز التي زعموا لها أنها أنقى الفيل . . .

قال دِمْنَةُ : وكيف كان ذلك ؟

قال : زعموا أنه كان في إحدى خرائب الهند جماعة من المظَّاء ، وكان فيها عَصْرُ قُوطٍ كبير^(١) فلَسَكَنَتْهُ الجماعةُ وذهبت تأخيرُ من أمره وتنتهى . فربَّه الخرقاءة فيلٌ جسيمٌ

(١) المظَّاء : جمع مظاة ومظاة ، وهي هذه الذئبية التي يقال لها (الحلية) ، والضرفوط ضرب من المظاة يكون أكبر منها

إن قريبتك العظيم قد مس أميرنا المضبوط بقدمه ففيه تحت سبع أرضين ، وإننا قد اخترناك ملكة علينا ، ووهنا لك الحرية وما فيها

قالت المنز : فاني أتهدب منكن هذه الهبة ، ونعيمنا صنعنا ؛ غير أن بينكن وبينى ما بين العظاية والفيل ، وما بين الحصاة والجبل ؛ فإذا أنا قلت ، فأنا قلت ؛ وإذا أنا أمرت ، فأنا أمرت ؛ وإذا أنا فعلت ، فأنا فعلت . هنا في هذه الأمة كلها (أنا) واحدة ليس معها غيرها ؛ لأن ههنا في هذا الرأس دماغ فيلة ، وفي هذا الجسم قوة فيلة ، وفي الخربة كلها فيلة واحدة ؛ فلا أعرف من منكن على الصواب والخطأ إلا الطاعة ، طاعة الأعمى للبصير . ألا وإن أول الحقائق أني فيلة وأنتن عطاء ؛ ومتى بدأ اليقين من مناسقط الخلاف من بيننا وبطل الاعتراض منكن ، وقوتى حق لأنها قوة ، وباطلى كذلك حتى لأنه من قوتى ؛ وقد قال حكماء الفيلة : إن القوى بين الضعفاء مشيئة مطلقة ، فهو مصلح حتى بالافساد ، حكيم حتى بالحقارة ، امام حتى بالخرافة ، عالم حتى بالجهالة ، نبي حتى بالشعوذة

قالوا ؛ وتذكير عليها عطاية صالحة عالة كانت ذات رأي ودين في قومها ، وكن يسميها : (العيصية) ، لبياضها وصلاحتها وطهارتها ، فقالت : ولا كل هذا أيتها الفيلة ؛ لقد تخبرصت غير الحق فأنك تحكمتنا من أجلنا لا من أجلك ، وما قولك إلا كلمات لا يحققها إلا أعمالنا نحن ؛ فملك الطاعة فيها يوصلحنا لا فيما يفسدنا ، ورأيتك شيء ينبغي أن تكون معه آراؤنا ، لتتبين الأسباب أسباب الواقفة والخائفة ، فنأخذ عن يئنة وترك عن يئنة ؛ وقد كان يقال في قديم الحكمة : إنه يجب على من يقدم رأيا للأمة الحازمة كي تأخذ به ، أو يضع لها شرعا ليحملها عليه ، أو يسين لها سنة لتتبعها - يجب على هذا المتقدم لتحويل الأمة وتحريرها أن يتقدم لأهل الشورى وفي رأسه الرأي ، وفي عنقه حبيل ؛ ثم يتكلم برأيه ويبسطه ويدفع عنه ، ويجادله ويمجادلونه ؛ فإن كان الرأي حقا أخذوا الرأي ، وإن كان باطلا أخذوا الجبل فشنقوا فيه هذا المنور

من الفيلة ، لم يحبس بالظاء ، ولم يميز فرقا بين هذه الأمة وبين الحصى منشورا يلتصع في الأرض هنا وهناك ؛ فنظر المضبوط كيف يصنع به ، وكان قائدا عظيما ، ثم تدبر أمر الفيل ، فرآه لا يتحرك إلا بأقدامه بنقلها واحدة واحدة ؛ فقدّر عند نفسه أنه لو أزال قدم الفيل عن الأرض زال الفيل نفسه ؛ فجاء فاعترض الطريق ، ودب دبيبه إلى قدم الفيل ؛ فلما رفع الفيل قدمه احتبل هذه الغفلة منه ... وانفس تحتما ، فاندس مقبوراً في التراب ؛ ثم إن الظاء افتقدت أميرها . فلما مضى الفيل لسيطه ، ورأت ما نزل بها فقرت إلى أبحارها واستكثت فيها ترتقب وتترقب ؛ فدخات إلى الخربة فنزلت جملت تتقم منها وترتع فيها ، ورأتها الظاء فاجتمعن بأعرن .. فقال منها قائل : هذه أنى الفيل . فسالت عطاية منهن : وأين التابان العظيمان ؟

قالت الأولى : إن الالامات دون الذكورة في خلقها ، والأنى هي الذكر مقلوباً أو مختصراً أو مشوها ، ولذلك هن يقلبن الحياة أو يختصرنها أو يشوهنها . أفلا ترين التابان العظيمين البارزين في ذلك الفيل الجسيم ، كيف نبنا صغيرين متقلبين فوق رأس أتناه ؟

فقالت واحدة : إن جاز قولك في الرأي فإني الخراطوم ؟ قالت الأخرى : هو هذه الزئمة التبدلية من خلقها ، وهو خراطوم على قدر أنوثة الأنثى

قالوا ؛ ثم اجتمع رأيهن على أن يملككن أنى الفيل هذه ؛ وأن يهبن لها الحرية وأمتها . وسمعت الماعزة كلامهن فقالت : لا جرم أن تكون المنز فيلة في أمة من الظاء ، فقد قالت الظاء : إنه لا كبير إلا بصغير ، ولا قوى إلا بضعيف ، ولا طاغية إلا بذليل ؛ وإن العظمة إن هي إلا شهادة الحقارة على نفسها ، وإنه رب عظيم طاغية متجبر ما قام في الناس إلا كما تقوم الحيلة ، ولا عاش إلا كما يعيش الكذب ، ولا حكم إلا كما يحكم الخداع . وهذه الدنيا للمحفوظ كأنها دنياه وحده ، فتى جاءت إليه فقد جاءت ، وإذا أدبرت عنه من ناحية رجعت من ناحية أخرى ، ليثبت الحظ أنه الحظ وتقدم الظاء إلى المنز ، فقالت لها : أيتها الفيلة العظيمة ،

فاستنقوها ؛ فانها كما قالت ؛ تقدمت إلينا بالرأى والحبل
 وكان في المظنّاء ضيمانٌ ومهازيلٌ وجيناءٌ وما كولوّن
 لكلّ آكل ؛ فتشبع^(١) لهم أن أنثى الفيل هذه . . .
 سنخلقهم قبلة إن هم أطاعوها ؛ فإذا مردوا عليها فانها
 من صرامة البأس بحيث تجعل كلّ غلافٍ من أظلافها جبلاً
 فوقهم كأنه ظلّة فتسوخ بهم الأرض . ثم إنهم انخرلوا وراجعوا
 وأخذت (المهمة) الصالحة فشئقت ، وخد الرأى من
 بعدها وانقطع الخلاف والدين والعقل الحر وأقبلت
 دولة المظنّاء على المنز تجرّ أذيالها

قالوا ؛ واغترت الماعزة وأحست لها وجوداً لم يكن ،
 وعرفت لنفسها وهي ماعزة نباهة شأن الفيل القوى ،
 فلجّت في عمايتها وكفرت بجنسها ، وقالت ؛ لم يخلقني الله
 قبلة وخلقني نفسي ؛ فانا لا هو

وثبتت عندها أنها ليست بمنز وإن أشبهتها كلّ عنز في
 الدنيا ؛ وذهبت تقلّد وتعيش على مذاهب القبيلة بين المظنّاء ؛
 فاذا مشت ارتجحت وتخطرت كأنها بناء يتقلقل ، وإذا
 اضطجعت أنذرت الأرض أن تمسك لا تدكها بجنسها . . .
 ومرّ ذلك الفيل بهذا الخراب مرة أخرى ، فلاذت المظنّاء
 كلهنّ بالقبيلة وتأهبت هذه للقتال وتحصّنت في
 البارزة والناجزة والمائرة فتصبت قرنها ، وحرّكت
 زعنبا ، وطاطات ، وشذت أظلافها في الأرض ، وثبتت
 قوائمها ، وصلبت عظامها ، ونفشت شعرها ، ونشوت
 كالقنفذ ، وأصرّت بكل ذلك لإصرارها ؛ وكانت عزرا نطيحة
 منذ كانت تتبع أمها وتتلوها ، فكيف بها وقد تفصّلت . . . ؟
 ثم إنها ثبتت في طريق الفيل ليرى يمينه هذا المول
 الهائل . . . فأقبل ، فد خروطه ، فغالها به ، فلغها فيه ،
 فقبيضه ، فرفعه ، فطوحها ، فكأنما ذهبت في السماء . . .
 ومهازيت المظنّاء ولذت بأجحارهن ، ثم غدوّن على
 رزقهن فاذا جيفة المنز غير بعيد ، قد بين عليها وارتبّن فيها
 وعلمن أنها كانت ماعزة فيلها جنونها ، وأدركن أن الكذب
 على الحقائق قد جعل الله له حقائق أخرى تقتله ، وأن من غلب

(١) أي خيل إليهم وتخل

وقى ديننا أن الطاعة في المصيبة ممصية أخرى ؛ ولقد كان
 لنا عنصرفوط بمحانة في الأديان دراسة لكثيها ؛ فكان مما
 علمنا أن المخلوق مبني على النقص إذ هو ماض إلى الفناء ،
 فيجب ألا يتم منه شيء إلا بمقدار ، وألا تكون القوة فيه إلا
 بمقدار ؛ ولهذا كان العقل التام في الأرض هو مجموع العقول
 كلّها ، وكان أنتم الآراء وأحجها ما أثبتت الآراء نفسها أنها
 أحجها وأتمها . فلا الدين أثبت أيتها القبلة ولا اثبت
 فينا العقل

فلما سمعت المنز ذلك تنفّست وعضبت ، وقالت ؛ إياكم
 وهذه الترهات من ألسنتكم ، وهذه الأباطيل في عقولكم ؛
 لا أتمنّ منكم كلمة الدين ولا كلمة الأنبياء ولا المضافيط . . .
 فذلك وحى غير وحى أنا ؛ وإذا كان غير وحى أنا فانا لست
 فيه ، وإذا لم أكن أنا فيه فهو لا يصلح للحكم الذي شرطه
 أن الدولة ليس فيها إلا أنا واحدة . وذلك إن لم يجعلكم غريباء
 عنى جملتي غريبة عنكم ، ما بدّ بن إحدى الغريبتين ، فهو أول
 القطيعة ، والقطيعة أول الفساد . وما دام في الدين أمر غير
 أمرى ، ونفى غير نفي ، وتحليل وتحريم لا يتغيران على
 مشيئتي — فانا بمنونة إن رضيت لكم هذا . . .

فضحكت (المهمة) وقالت للماعزة ؛ بل قولي ؛ أنا
 بمنونة ب . . . أنا . أفلا يجوز وأنت خلقت من المخلوق أن
 يمتري عقلك شيء مما يمتري العقول ؛ ولنا نكر أنك قوية
 الرأى في ناحية القوة ، حسنة التدبير في ناحية الشجاعة ،
 متجاوزة المقدار في ناحية الحزم والحرص على مصالح الدولة ؛
 ولكن ألم يقل الحكماء ؛ إن الزيادة السريعة في جهة من العقل
 تأتي من النقص التحيف لجهة أخرى ؛ وإنه رُبّ عقل كان
 تاماً عبقرياً في أمور لأنه ضيف أبله في غيرها ؛ يحين في
 تلك ما لا يحينه أحد ، ويحكم منها ما لا يحكمه أحد ؛ ثم
 يظط في الأخرى ما لا يظط أحد فيه ؟

قالوا ؛ لجاشت المنز وفارت من الغضب فورة الجبار ،
 وخيل إليها من عى النيفظ أنها ذهبت بين الأرض والسماء ،
 وأن زعنبا امتد منها خرطوم طويل ، وأن قرنها انبجج
 منها نابان عظيمان ؛ وقالت ؛ ويحكمكم أخذوا هذه (المهمة)

واكتنفتا فيهما تأكلان من شجعتا فتعظمان سمنا؛ والناس من جهلهم بالعلم الذباني يسمونها عينين وأنا قضيت اليوم كله أخيش وأعشى وألسع لأنقب لي ثقباً مثلها فما انتزعت شعرة ؛ فهل يستوى في الحكمة رزق (أنا) ورزق هاتين الذبابتين في وجه البقرة . . . ؟

ثم إنها رأت خنفساء تدب ديبها في الأرواث والأقذار فنظرت إليها وقالت : هذه لا تصلح دليلاً على الكفر ؛ فأتى (أنا) خير منها ؛ (أنا) لي أجنحة وليس لها ، (وأنا) خفيفة وهي ثقيلة ؛ وما كاشها إلا ذبابة قديمة من ذباب القرون الأولى ذلك الذي كان بليداً لا يتحرك ، فلم تجعل له الحركة جناحاً . ثم لأنها أصغت فسمعت الخنفساء تقول لأخرى وهي تحاورها : إذا لم يجد المخلوق أنه كما يشتهي للكفر كما يشتهي ؛ بلو يحتمل ؛ لم لم تكن جاموساً كهذا الجاموس العظيم ، وما بيننا وبينه فرق إلا أنه وجد من ينفضحه ولم يجد . . . ؟

فقال الذبابة : إن هذا دليل العقل في هذه العاقلة ، ولعمري إنها لا تعشى مشاقة من أنها بطيئة مرهقة بجزها ، ولكن من أنها وقور مثقلة بأفكارها ، وهي الدليل على أني (أنا) السابقة إلى كشف الحقيقة . . . ؟

وجعلت الذبابة لا يسمع من دندنتها إلا : أنا ، أنا ، أنا ، أنا من كفر إلى كفر غيره ، إلى كفر غيرها ؛ حتى كأن السماوات كلها أصبحت في مركز مع ذبابة ثم جاءت الحقيقة إلى هذا الاتحاد الأحق تسمى سميتها ؛ فبينما الذبابة على وجه حائط ، وقد أكلت بعوضة أو بوموتين ، وأعجبتها نفسها ، فوقفت تحك ذراعها بذراعها — دنت بطة صغيرة قد انطلقت عنها البيضة أمس ؛ فدنت منقارها ، فالتقطتها . ولما انطبق المنقار عليها قالت : آمنت أنه لا إله إلا الذي خلق البطة

منه

(ملطاً)

إلى (.) المجهولة :

اشكرك يا سيدي ، وكل ما صنعت فهو خير مما كنت سأصنع . وسأكتب إن شاء الله في موضوعك بعد فترة من الزمن ، ولكن إليك والخاطر الذي خطر لك فالك تربعين به عصرة ، وتخبرين عورات الرافعي

أمة المظاء على أمرها فليست الأيام والليالي عطاء فيظلمها ؛ وأن تغيير المخلوقات إنما يكون بتحويل باطنها لا بتحويل ظاهرها ، وأن الاناء الأحمر يريك الماء مُحمراً والماء في نفسه لا حمرة فيه ، حتى إذا انكسر الاناء ظهر كما هو في نفسه ؛ وكل ما يخفى الحق هو كهذا الاناء : لون على الحق لا فيه ؛ ثم أيقن أن محاولة إخراج أمة كاملة من نزعات ماعزقة مأفونة ، هي كمحاولة استيلاء القيل من الماغزة . . . ؟

قال كليلية : واعلم يا دمنة ، أنه لولا أن هذه النمل الحقاء قد كفرت كفر الذبابة لما أخذها الله أخذ الذبابة

قال دمنة : وكيف كان ذلك ؟

قال : زعموا أن ذبابة سوداء كانت من حنق الذبان ، قد رت الحاققة عليها أبدية ، فلما انقلب نقطة حبر لما كتبت بها إلا كلمة سُخف

ووقعت هذه الذبابة على وجه امرأة زنجية ضخمة ، فجعلت تقابل بين نفسها وبين المرأة ؛ وقالت : إن هذا من أدل الدليل على أن العالم فوضي لا نظام فيه ، وأنه مرسل كيف يتفق على ما يتفق عبثاً في عبث ، ولا ريب أن الأنبياء قد كذبوا الناس ؛ إذ كيف يستوى في الحكمة خلق (أنا) وخلق هذه الذبابة الضخمة التي أنا فوقها . . . ؟

ثم نظرت ليلة في السماء ، فأبصرت نجومها ثلاثاً وثلاثين والقمر ؛ فقالت : وهذا دليل آخر على ما تحقق عندي من فوضى العالم وكذب الأديان وعبث المصادقات ؛ فما الايمان بعينه ، إلا الاتحاد بعينه ، ووضع العقل في شيء هو إجماع الألوهية فيه ، وإلا فكيف يستوى في الحكمة وضى (أنا) ورفع هذا الذبان الأبيض ويسوبه الكبير إلى السماء . . . ؟

ثم إنها وقعت في دار فلاح ، فجعلت تمور فيها ذهاباً وجيئة حتى رجعت بقرة الفلاح من مرعاها ؛ فبهتت الذبابة وجددت على غمرتها من أول النهار إلى آخره ، كأنها تراول عملاً ؛ فلما أمنت قالت : وهذا دليل أكبر الدليل على فوضى الأرزاق في الدنيا ، فهاتان ذبابتان قد تقبستا تقبين في وجه هذه البقرة

مسالك الأبصار

ومؤلفه الشهاب العمري

للأستاذ محمد عبد الله عنان

في سنة ١٩٢٤ أخرجت دار الكتب المصرية الجزء الأول من أثر ضخم ، هو كتاب « مسالك الأبصار في ممالك الأمصار » لشهاب الدين أحمد بن فضل الله العمري ، وذلك بإشارة المغفور له العلامة الأستاذ أحمد زكي باشا وبتحقيقه . ثم وقف مشروع اخراج الكتاب في مستهل لأسباب تجهلها حتى اليوم ، ولكننا علمنا أخيراً أن دار الكتب قررت استئناف العمل في « مسالك الأبصار » وإخراجه تباعاً إلى جانب الآثار القديمة الأخرى التي تنسى بنشرها

وهو نبأ يستقبله الباحثون والأدباء بعتى البهجة . ذلك أن « مسالك الأبصار » من الآثار الإسلامية الضخمة التي تمتاز بفزارة مادتها وتنوع موضوعاتها ونفاضة معلوماتها ؛ وهو نأث ثلاثة من الموسوعات العربية المصرية الضخمة ، التي كتبت في عصور متقاربة ، وامتازت على جميع الآثار الإسلامية بضخامتها وتنوعها وطرافتها ؛ وهي : « مسالك الأبصار » ونهاية الأرب للنويري ، وصبح الأعشى للقلقشندي . وقد أخرجت لنا دار الكتب « صبح الأعشى » كاملاً في أربعة عشر مجلداً ، وأنجزت لنا من نهاية الأرب نحو ثلثه في أحد عشر مجلداً ، وما زالت ماضية في إخراجه ، وبقي عليها أن تستأنف العمل في ثلثة هذه الموسوعات الكبرى ، ونسئ « مسالك الأبصار »

كان القرن الثامن الهجري في مصر عصر الموسوعات الأدبية والتاريخية العامة ؛ وإذا لم تكن فكرة الموسوعات الجامعة في الأدب العربي مصرية محضة ، فقد بلغت ذروتها على الأقل في مصر ، وأخرج الكتاب المصريون أعظم وأبدع نماذجها . وكان شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري هو أول كتاب للموسوعات ورأس هذه المدرسة الفزيرة الباهرة (٦٦٠ - ٧٣٢هـ)

وقد وضع لنا موسوعته الفريدة « نهاية الأرب في فنون الأدب » في أوائل القرن الثامن الهجري في أكثر من ثلاثين مجلداً كبيراً ، فجاءت أثراً ضخماً لم تشهد مثله الآداب العربية من قبل في غزارة المادة وتنوع الموضوعات وطرافة الأوضاع ؛ ثم تلاه العمري الذي نريد أن نتحدث اليوم عنه وعن مجهوده ، بوضع موسوعته « مسالك الأبصار » ؛ وجاء القلقشندي ليختتم هذا الثبت في أوائل القرن التاسع بوضع موسوعته « صبح الأعشى »

كان العمري دمشقي المولد ؛ ولكن مصري التربية والوطن والتكوين ؛ وهو شهاب الدين أبو العباس بن فضل الله أحمد بن يحيى ؛ وينتهي نسبه إلى عمر بن الخطاب ، ومن ثم كان تلقيبه بالعمري . ولد في ثالث شوال سنة سبعمائة (١٣٠٠ م) ، وتلقى تربيته الأولى في دمشق ؛ ثم وفد على القاهرة حدثاً ودرس بها واتخذها وطناً وموطئاً ، ومال إلى التخصص في علوم الفقه واللغة ، وبرع بالأخص في الكتابة والانشاء ، وتقلد في البلاط القاهري عدة مناصب هامة أيام السلطان الناصر محمد بن قلاوون في ولايته الثالثة (٧٠٩ - ٧٤١ هـ) وانتهى إلى تقلد ديوان الانشاء والرسائل ، فاستحدث فيه كثيراً من الأساليب والأوضاع البديعة ، ووضع له دستوراً لبث عمدة الكتاب والملاطين مدى عصور

ولبث العمري إلى جانب اضطلاع به بأعيان المناصب العامة رجل البحث والدرس ؛ وعنى عناية خاصة بدرس الجغرافية الطبيعية والسياسية أو الممالك والمسالك وطبائعها وخواصها ؛ ودرس تواريخ الأمم وأحوالها وعجائبها ، ولاسيما أمم الشرق النائية مثل أم التتار والهند والصين ، ودرس الفلك أيضاً ، ولم يكتف في درسه بقراءة المصادر والمصنفات القديمة ، ولكنه قرن الدرس النظري بنوع من الدراسة العملية ، فتجول في أنحاء الشام والأناضول والحجاز وبعض الممالك الإسلامية الأخرى ، حسبما يبدو ذلك في أكثر من موضع من سياق موسوعته ، وحسبما يشير إجمالاً في مقدمته ^(١) ، واستعان في ترف أحوال الأمم والممالك التي لم تتح له زيارتها بأقوال العارفين والثقة بمن زاروها أو درسوا أحوالها دراسة خاصة ^(٢) ، حتى اجتمعت له من ذلك

(١) راجع الجزء الأول من « مسالك الأبصار » (طبع دار الكتب) ص ٢

ولكنه شوق على القرب والنوى أغص الأماق مدمعاً ثم مدمعاً
ومن فارق الأحباب في العمر ساعة
كمن فارق الأحباب في العمر أجمعاً
وقطع العمرى حياة قصيرة ولكن باهرة ؛ وتبوأ ذروة
المنصب العامة ، كما تبوأ إمامة التفكير والأدب ، واستمرت
حظوته لدى الملك الناصر طوال عهده ؛ ثم توفي سنة ٧٤٩ هـ
(١٣٤٨ م) دون أن يبلغ الخمسين

— ٢ —

ترك لنا العمرى تراثاً حافلاً بكم عن غزارة مادته ورفيع مواهبه ،
منه موسوعته الكبرى « مسالك الأبصار في ممالك الأمصار »
و « الدعوة المستجابة » و « سبابة المشتاق » وهو في الدأخ
النبوية و « سفرة السفرة » و « دمة الباكي » و « يقظة الساهر »
و « نفحة الروض » وكلها من كتب الأدب والبيان ، وكتاب
« فواضل السمر في فضائل آل عمر » وكتاب « الشتويات »
وهو رسائل في الشتاء و « النبهة الكافية في معرفة الكتابة
والقافية » وكتاب « التعريف بالمصطلح الشريف » وهو مجموعة
نماذج من الرسائل الملوكية والأميرية ، وسنعود إليه ؛ وطائفة
كبيرة من القصائد والموشحات والتقاليد والناشير^(١)

وقد انتهى الينا من هذا التراث أهمه وأغصه ؛ فلدينا أولاً
كتاب « مسالك الأبصار » وهو أهم آثار العمرى وأضخمها ؛
وهو في الواقع موسوعة كبرى تملأ عشرين مجلداً كبيراً^(٢) ،
ويقول لنا العمرى إنه أثر الحياة وإنه « قطع فيه عمر الأيام والليالي »
وإنه شرع فيه أيام التحاقه بخدمة الملك الناصر ؛ وقد يكون
ذلك حوالى سنة ٧٣٠ هـ ؛ ويبدو من مقدمته أيضاً ومن دطائه
للملك الناصر بدوام أيامه ، أنه أنجز نسخته الأولى قبل سنة
٧٤١ هـ أعني قبل وفاة الناصر^(٣) ، بيد أنه يبدو من جهة أخرى
أنه زاد فيه بعد ذلك لأنه يصل في رواية الحوادث إلى سنة ٧٤٣ هـ
ومن المحقق أن العمرى تأثر في وضع موسوعته بمثل سلفه

مادة غزيرة تمتاز في كثير من الأحيان بدقتها وطرافتها
وقد تبوأ العمرى إمامة البلاغة والبيان والترسل في عصره
حتى أن الصفدى معاصره وصديقه يفضل في هذا الفن على القاضي
الفاضل ، ويصف خلاله ومواهبه الأدبية في تلك العبارات البليغة :
« يتدفق بحره بالجواهر كلاماً ، ويتألق انشاؤه بالبورق المستمرة
نظاماً ، ويقطر كلامه فصاحة وبلاغة ، وتندى عباراته انسجاماً
وصياغة ، وينظر إلى غيب المعاني من ستر رقيق ، ويفوص في
لجة البيان فيظفر بكبار الأؤلؤ من البحر العميق ، قد استوت
بديته وارتجاله ، وتأخر عن فروسيته من هذا الفن رجاله ،
يكتب من رأس قلبه بديهاً ما يعجز القاضي الفاضل أن يدانيه
تشبيهاً ، وينظم من المقطوع والقصيدة جوهرأً يُخجل الروض
الذى يأكره الحلياً مزهراً ، صرف الزمان أمراً ونهياً ، ودبر الممالك
تنفيذاً ورأياً ، ووصل الأرزاق بقلبه ، ورويت تواقيعه وهي
سجلات لحكمه وحكمه ، لا أرى أن اسم الكاتب يصدق على
غيره ولا يطلق على سواه » . ثم يصفه الصفدى بعد ذلك بالأديب
« الكامل » وينوه بقوة ذاكرته ، وحسن ذوقه ، ويقول لنا
إنه ، أي العمرى ، كان آية في النثر والنظم والترسل البارع
عن الملوك ، وأنه « لم يرن يعرف تواريح الملوك الغل من لدن
جنكيزخان معرفته ، وكذلك ملوك الهند والأتراك . وأما معرفته
الممالك والممالك ، وخطوط الأقاليم والبلدان وخواصها ، فانه فيها
إمام وقته »^(٤)

ولأقوال الصفدى ، وهو إمام النقد في عصره ، قيمتها في
التنويه بجلال العمرى الأدبية ، والعلمية الفائقة . بيد أن تراث
العمرى نفسه مازال خير شاهد بمبقرته ولا سيما في فن الانشاء
والترسل ، وقد كان العمرى فوق ذلك شاعراً مجيداً ؛ ومن رقيق
شعره قوله :

أحبابنا والمذر منا اليكمو إذا ماشفلنا بالنوى أن نودعا
ابشكوا شوقاً أبارى يبعثه حمام المشايخ رنة وتوجها
أبيت سيم البرق قلبي مثله أقضى به الليل التمام صروعا
وما هو شوق مدة ثم ينقضى ولا أنه يلقى عباً مفجما

(١) راجع ترجمة العمرى في فوات الوفيات لابن شاعر الكني
(ج ١ ص ٧ و ٨ و ٩) وقد نقلها جياً من معجم الصفدى « أعيان
النصر وأعوان النصر » وهو ما يزال مخطوطاً

(١) فوات الوفيات — ج ١ ص ٨

(٢) في دار الكتب نسخة فترائية كاملة لمسالك الأبصار (رقم ٢٠٦٨
تاريخ) وتقع في ٤٣ مجلداً أو تساً ، والفضل يرجع في استنساخها لدار
الكتب إلى الرحوم العلامة أحمد زكي باشا

(٣) راجع مسالك الأبصار — ج ١ ص ٦

فصل يمتاز بدقته وطرافته ويتناول الحديث عن أحوال الممالك النصرانية والجمهورية الإيطالية في النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادي ، وينسب العمري ما أورده فيه من المعلومات إلى رجل إيطالي يدعى « بليان الجنوي » عرفه في بعض رحلاته واستقى منه معلوماته وهي معلومات في منتهى الدقة ولا سيما ما تعلق منها بنظم الجمهورية الإيطالية في ذلك العصر . وعنى صديقنا العلامة السيد حسن حسني عبد الوهاب بنشر الفصل الخاص بوصف إفريقية والأندلس ؛ ونشر أحد المستشرقين الألمان أخيراً الفصل الخاص بوصف بلاد الأناضول

— ٣ —

على أنه قد انتهت إلينا من تراث العمري أثر ذو أهمية خاصة هو كتاب « التعريف بالمصطلح الشريف » . وقد كان العمري كما رأينا مدى أعوام طويلة ناظراً لديوان الانشاء والرسائل ، وقد استحدث في هذا الديوان كثيراً من الأساليب والأوضاع الجديدة سواء في توجيه الرسائل والمخاطبات أو صيغها ؛ ويجب أن نعلم أن ديوان الانشاء كان في تلك المصور مجمع الرسائل الداخلية والخارجية ، فمنه تصدر الرسائل والناشير والأوامر والتواقيع إلى الأمراء والحكام وكبار الموظفين ؛ ومنه توجه الرسائل الخارجية إلى مختلف الملوك والدول التي ترتبط بمصر بملائق سياسية أو تجارية ؛ وإذا قد كان اختصاصه يتناول ما يسمى اليوم في لغة السياسة الحديثة بنظم « البروتوكول » ، وهي عبارة عن الرسوم والاجراءات التي تجري عليها الدولة في تنظيم علاقاتها الخارجية ، سواء في إجراء المفاوضات السياسية أم في عقد المعاهدات أو مخاطبة الدول الأخرى أو استقبال ممثليها ومعاملتهم أو في تحرير الكتابات الدبلوماسية . وتسمى هذه الرسوم والنظم في الدولة الإسلامية « بالمصطلح الشريف » . وقد كان للعمري أكبر الفضل في تجديد هذه النظم ، وعلى يده باقت ذروتها من الافتنان والتناسق والدقة ؛ وللتعريف بهذه النظم وشروحها وضع العمري كتابه « التعريف بالمصطلح الشريف »^(١) وفيه يشرح رتب الكتابات السلطانية وإجراءاتها ، ويعرض نماذج من العهود والتقاليد والتفاويض والراسيم والناشير وكذلك نماذج عديدة من الوثائق والكتابات الدبلوماسية ؛ ثم يتحدث

(١) وقد طبع بمصر أكثر من مرة

الظيم النوري صاحب موسوعة « نهاية الأرب » وهي أول موسوعة من نوعها . غير أنه ينحرف في تقسيمها ومحتوياتها نوعاً آخر ؛ وبينما يسبغ النوري على موسوعته صبغة علمية أدبية تاريخية ، إذا بالعمري يسبغ على موسوعته صبغة جغرافية تاريخية ، وهو يقسمها إلى قسمين كبيرين : الأول : « في الأرض » والثاني « في سكان الأرض » ، ويشمل القسم الأول ذكر كل لأرض وما اشتملت عليه برأ وبحراً ، وهو نوعان كبيران : السالك والمالك ، ويدخل في النوع الأول الكلام على أحوال الأرض وصفاتها وعناصرها وما تحتويه من أنهار وجبال ثم الكلام على الأقاليم السبعة وهي أساس الجغرافية القديمة وما فيها من المدن والجزائر وما يؤثر فيها من العجائب ، ثم الكلام عن الرياح والكواكب والاعراض الطبيعية ؛ ويدخل في القسم الثاني الكلام عن ممالك العالم المعروف يومئذ مبتدئاً بممالك الهند والسند وانتار ثم انترك ومصر والشام والحجاز واليمن ، ثم ممالك السودان والحبش وإفريقية والأندلس ، وفيه بيانات ضافية عن أحوال هذه البلاد ونظمها وخواصها ومحصولها وحيوانها ؛ ويبدى العمري هنا دقة البحث والتحري ، ويقدم إلينا أسانيد ومصادره كلها شعر بمبالغة أو غرابة فيما يروى . ويختتم هذا القسم بالكلام عن العرب الموجودين في عصره وأما كنى وجودهم ولا سيما في مصر ، وهو فصل له قيمته في تعرف الأصول والأنساب . ويشتمل هذا القسم الأول من الكتاب نحو عشرة مجلدات

ويتناول القسم الثاني الكلام على سكان الأرض من طوائف الأمم وفيه حديث مستفيض عن طوائف العلماء في الشرق والغرب ، ثم الكلام على الأديان والنحل المختلفة ؛ وبعدئذ يجرى الكلام على التاريخ ، وهو قسبان ، تاريخ الدول التي كانت قبل الاسلام ، ثم تاريخ الدول التي قامت بعد الاسلام حتى عصر المؤلف ، ويستطرد فيه إلى ذكر الحوادث حتى سنة ٧٤٣ هـ أعنى قبل وفاته بنحو خمسة أعوام

ولم ينشر إلى يومنا من كتاب « مسالك الأبصار » سوى الجزء الأول كما قدسنا ؛ غير أنه قد نشرت منه بعض فصول ونبد متفرقة منها فضل من فصول القسم الأول عنوانه « كلام إجمالي في أمر مشاهير ممالك عباد الصليب في البر دون البحر » نشره المستشرق أماري (سنة ١٨٨٣) مقروناً بترجمة إيطالية ، وهو

خواطر وأفكار

للأستاذ أديب عباسي

يغلب أن يسيطر على الحياة في كلا عنصرها من السعادة والشقاء قانون الرجحان العام الذي يسيطر على جميع حوادث الطبيعة ويسير بها جميعاً ، كلما امتد الزمن وتوالى الحدوث ، إلى التعادل والاستواء ، ومازى من فروق شاسعة بين حظوظ الناس من السعادة والشقاء سنيه — فيما نرى — قصر مدى التجربة والاختبار . واعتقد أن لو أتيح للأحياء من الناس عمر أطول ، أو لو كانت أمواج السعادة والشقاء وأصداء اللذة والألم أقل لبناً وأقصر مكثاً ، لتداني من التعادل نصيب كل امرئ من حظي السعادة والشقاء

حياة كل امرئ « متوالية » من الآمال والآلام والأحلام والأعمال . ولست بمستطيع أن تجرّد الحياة حلقة واحدة من هذه الحلقات : الآمال تثير الآلام والأحلام ، والأحلام لا بد

عن أوضاع الممالك وتقسيمها الادارية ، وعن مراكز البريد ووسائل المواصلات البحرية . ويستر كتاب الممرى دستور المصطلح الشريف في مصر الاسلامية ؟ ويعتبره القلقشندي صاحب صبح الأعشى أنفس الكتب المنقذة في هذا الباب (١) . وقد انتفع به القلقشندي في موسوعته أعظم انتفاع ، وتقل إلينا فوق ذلك طائفة كبيرة من الرسائل والكتابات السلطانية التي دججت بقلم الممرى في ظروف ومناسبات مختلفة ، وكلها دليل على ما كان يتمتع به الممرى من المواهب الانشائية السامية

وللممرى آثار ورسائل أخرى كما قدمنا ، ولكن معظمها لم يصل إلينا ، وما زال بعضها يبيد عن التداول في بعض المكاتب الأوربية . على أن « مسالك الأبحار » يبق دائماً أعظم آثاره ؛ ورجلونا أن تعمل دار الكتب المصرية لأخراجه بهمة مضاعفة فلا تضيّع أعوام قلائل حتى تضمه كاملاً بين أيدي الباحثين

القل منوع محمد عبد الله عنانه

(١) راجع صبح الأعشى ج ١ ص ٧

مفضية في نهاية الأمر إلى الأعمال ، والأعمال بدورها تنبثق آمالاً جديدة ، والأمل الجديد يشوّر آلاماً وأحلاماً جديدة ، وهكذا تظل تدور بين حدين من الأمل والعمل يتوسطهما واسطان هما ما نألم وما نحلم إلى أن تتلأ علينا القبور ، وبرص علينا الجنادل والصخور

ليس مما ينقص قيمة العمل الطيب أن يكون حاديه ورائده اللذة منشودة أو حاصلة ، بل نحن نفتقد أن من مصلحة الأخلاق ، ومن الخير العميم للناس أن يتعلم الناس كيف يستثمرون السعادة ويتذوقون الغبطة في العمل الطيب بدءاً وختاماً ، حساً وخيالاً . كذلك نفتقد أن من مصلحة الأخلاق ونشر الفضيلة وتعميم الإصلاح أن يشعر المرء أن عمل الخير مجزى عليه في هذه الحياة الدنيا ، وأن ليس على المرء يصنع الخير أن ينتظر إلى اليوم الأخير ليثاب على عمله الصالح وينال جزاء ما قدم من خير وأسلف من صلاح

يكاد يكون الاحساس بالحق ونصرة العدل من فطرة البشر ومن هنا زائنا — في الأحوال العادية — نهمل للعدل ونفقت الجور ، سواء أ كنا نحن المعنيين بالجور والعدل أم كان المعنى غيرنا

من غرائب الطباع امرؤ يشي عليك بما أنت أهله أو بما لست أهلاً له ، ثم تراه بغير سبب واضح أو علة مقبولة ينقلب عليك ، ولا يتعف أن يهجو بك بمكس ما كان يمدحه فيك ، هذا الصنف من الناس هم ، في اعتقادي ، من المتبوءة الجبناء الذين يستجدون امتداح الناس بامتداحهم الناس ؛ فإذا خاب ما يؤملون ، ولم يبادلهم بمدحهم مدحاً مدح انتقلوا قاذرين مشتمين

ما أشبه بناء الأمة ببناء الهرم ؛ ما يزال قائماً ثابت الاثران ، ما شغل الرأس منه مكان الرأس ، والقاعدة مكان القاعدة ؛ وما أسرع ما ينهار الهرم وتنشكك حيناً تنقلب الأوضاع فتسوء القاعدة إلى مكان الرأس ، ويبسط الرأس إلى مكان القاعدة ؛ ومن هنا أضحي الهرم القلوب مضرب المثل في سخافة البناء ووهن الثبوت

يموت العظيم في الغرب ، ولكن ما أسرع ما تُسدُّ الففرة
ويقوم الخلف . ويموت العظيم الشرق فيظل عمله خالياً جيلًا أو
أجيالاً . وذلك أن تربتنا الاجتماعية الناقصة لا ترفع إلى مستوى
الرعاية الصحيحة القوية في الجيل الواحد إلا نفراً قليلاً جداً ،
فلذا أودى هذا النفر ظلَّ علمهم خالياً إلى أن تتمخض الأمة بيد
حمل طويل وآلام وبرحة وتجارب شاقة فتلد المولود الجديد الذي
يُقدَّر له أن يستأنف السير ويتولى القيادة

قد يعمد الرجل الشرير إلى بعض الخير بصنعه ليتبين كيف
يكون أثر ذلك ، كما قد يسعى الرجل الطيب إلى بعض الشر بصنعه
لمثل غرض الشرير في صنعه الخير . وإلى هذا قد يُردُّ بعض
ما نراه من شذوذ في الخلق السوي

قد يبدو الفكر العميق للقارئ السطحي الضحل متناقضاً ،
وذلك أن ذا الفكر العميق قد ينتهي إلى أغوار لا يستطيع أن
ينفذ إليها فخل التفكير ، ويدرك من الملائق والوشائج الخفية بين
الأشياء ما لا يدركه ذو الفكر القراق الذي لا غور له

المصادفة بليغة الأثر في حياة الفرد ، أما في حياة الأمة فهي
ضئيلة الأثر أو لا أثر لها البتة

ما من رأى إلا وداو في أكثر من ذهن واحد ، ولكن
شخصاً واحداً يكتب له أن يخلد هذا الرأي

الرأى يرتأى كالصدى يكثر تجاوبه كلما استوعب طريقه

الأم كالنار يصهر القوى ولكن لا يلاشيه ، كما لا تلاشي
النار الحديد ، أما الضعيف فيحيله الأم دخاناً يصاعد

قد يتصدى المرء أحياناً للرأى العام لا ليتحداه ، إنما هو
يتصدى له ليدرك مبلغ قوته ثم ليدرك مدى الرأى العام ويجراه ،
فيحاول شراخ الممل على هواه

الرجل القوى حق القوة لا يخلق بهذه القوة عبيداً وآلات

لست أدري أى خير وأية سمادة كانا يصيبان البشر لو أقصى
من مجال الدين جميع التججرين به . فليتق الله المتاجرون وليجعلوا
في غير مجال الدين بجانهم

تظل تجربة المرء ناقصة ما لم تتكرر . . .

خصومتك الصغير تودئك المهانة ، سواء أ كنت المنتصر في
هذه المصومة أم كنت الخاسر

الأغراب والتكلف في أساليب الحياة والأخلاق دليل على
فساد الطبع والتواء التكوين

قد تكون المحافظة على القديم ناجمة من خوف الحديث
وحسب ، لا من حب للقديم صحيح

ثم صنف غريب من الكتاب والمفكرين يعمدون إلى الرأى
الواهم الواهم ، أو الفكرة الميتة يثيرون حولها حرباً شعواء
ويوسعونها طمعاً وضرباً ، ثم يلتفتون إلى الناس ولسان الضرور
يقول : انظروا ماذا صنمنا وإلى أى المقاتل قد نفذ سلاحنا ؟ وقد
نسوا - حفظهم الله وكلامهم - أن سلاحهم يُجرد على موتى ويُشرع
على أشلاء

قد يمشى الكاتب بشهرته الأدبية أعواماً بعد أن يُعفى .
وهذا سرُّ ما نراه من مدح يكال وتقدير يُسرف في توزيعه على
أناس لا يستحقون بعض أبعاضه . والحقيقة أن من الكتاب
اليوم من يعيشون بقوة الاستمرار وحسب ، لا بقوة العمل
وصدق الاتاج

ما أسرع ما يلفُّ صفار النفوس حول صغير النفس ، أما
كبير النفس فلا يسمح لهم بالدنو منه لئلا تعلق به من تنهم عالقته .
الأنهار بالوطنية في الشرق علة مستحكمة لا يزِيلها إلا صرامة
النقد ، وصراحة اللفت ، وقسوة التشهير

نداء الأمومة عند المرأة أقوى من نداء الحب . وكثيراً ما تضحي
المرأة بحبها في سبيل الأمومة السالمة والنسل للقوى القويم

لا يستطيع إبليس - في كثير الأحيان - أن يتراعى
للرجل إلا عن طريق المرأة . فهي - في أغلب الأحيان -
سفيره إليه . وكثيراً ما تنجح هذه السفارة كما نجحت من قديم
في جنات عدن

حياة المرأة أنشودة يتناوب انشادها الملائكة وإبليس

حب الأم أشرف أنواع الحب وأعمقه وأدومه . وذلك أن
فيه من حب الأبنية وحب الأخت وحب العاشقة وحب العابدة .
فالأم إذ تحب وليدها وترأمة لا تحبه وترأمة كوليده فقط ، إنما
هي ترأمة ونحبه ، ولو في غير شعور ، حب الأبنية أيوبها ، والأخت
أخاها ، والعاشقة عاشقها ، والعبادة مبيودها

من مظاهر الفسولة وصغار الرجولة أن يتعشق الفتى
فتاته ، ثم لا يفنأ يملن من هذا الشق وينبئ إليه في كل مناسبة .
وعند كل حديث : فكأنه الكلب يلغ في الأناء أو يبول فيه
لينفّر منه بقية السباع

في الزمان غير المحدود والمكان غير المحدود يكون احتمال
الحدث غير محدود أيضاً . ولا أدري لم يستبعد أو ينفي حدوث
حدث يقدر أو يفترض بحجة بعد الاحتمال

أريب عباسي

اعلان من الرسالة

- (١) لا تنشر الرسالة إلا ما كتب لها خاصة
- (٢) لا تنشر الرسالة المقالات للسلطة إلا إذا
أرسلت إليها السلطة كاملة
- (٣) لا تنشر الرسالة قطعة مترجمة ما لم يرسل
أصلها معها

ناطقة ، إنما يخلق بها رجالاً أقوياء . وكل مظهر من مظاهر القوة
لا يفضى الى هذه النتيجة يجب أن يشككنا في هذه القوة

يجب أن ندخر خصومة الصراحة وجهد المقاومة للأمور
الجسام والمسائل العظام . أما الصراحة المادية في كل ما يعرض
للعمه من شؤون الحياة اليومية قافها وجليها على السواء فجهد
غير مبرور وعمل غير مشكور ، ولا يعود على الصريح منه
إلا خصومات لا تنتهي وعداوات لا تنقضي

ما تزال المرأة طفلة حتى تحب ، وما يزال الرجل رجلاً حتى
يحب . ومتى أحبت المرأة بلغت أوج الأنوثة ؛ أما الرجل السليم
القوى فيندرج أن يجعل الحب آخر مرحلة من مراحل الحياة ،
وهو - أي الحب - عند الرجل مرحلة الى رجولة اسمى . فالمرأة
تتجه الى الحب لا لتتمناه ، أما الرجل فيحب ليكون الحب مرحلة
من مراحل حياته . وهذا يشير الى أن الحياة تريد من المرأة الحب
فقط ، وتريد من الرجل فضلاً عن الحب الجهاد والمغامرة

يجب ألا يفرّ الشبان بيت شوق « نظرة قابضة » .
ثم ما بعد ذلك . فبين النظرة والابتسامة - في كثير من الأحيان -
وبين قلب الفتاة سبع قلاع بسبعة أسوار

رُكّس في طبيعة المرأة التلويح من بعيد والاعراء . فهي
قد تبدل أحياناً ولو لم تنبر السقوط ، وتدنو ولكن لا لتصل ،
وتقترب ولكن لا لتفيل . فكأنها تمتد الى ذلك لتقيس مقدار
فتنتها وتختبر قوة أنوثتها

الرجولة لا تكون كاملة إلا إذا خالطها بمض طبائع الأنوثة .
فكأن الطبيعة في ذلك لا تريد للرجل أن يتخلص من إرث
الأنوثة الأقدم ، حينما كانت الذكورة لا تزال في ضمير النيب ؛
وكانت الأنوثة كل مافي يد الطبيعة من مواد التجريب والاختبار

ثورة الحب تفضي الى أسر الزوج ، وثورة الحقد والطمع تفضي
الى أسر السجن

٥ - النهضة التركية الأخيرة

للدكتور عبد الوهاب عزام

الحروف اللاتينية والألفاظ العربية

وقد يجمل الكاليون في انقاذ قانون الحروف اللاتينية ، واشتدوا في ذلك لا يستنون الكتب التي في المطابع ، قد طبع بعضها بالحروف العربية ولما يتم طبعها ، فسارع بعض المؤلفين إلى إكمال كتبهم قبل الموعد المحدود ، ودون الكمال المنشود . وبئس آخرون أن يُنصوا كتبهم قبل الأجل المضروب وكرهوا بل هجروا أن يكلوها بالحروف الجديدة فيجعلوها ذات خطين أحمر وعربي ، فوقفوا بها حيث وقفهم القانون الجديد . وأعجب ما في هذا أن أحد الأديباء الكبار كان يطبع معجماً كبيراً وأخرج منه مجلدين ، ولم يسوغ له القانون أن يكله بالحروف العربية فيما يحتاج إليه من وقت ، وهجز هو وهجز الفكر الانساني أن يكمل هذا المعجم بالحروف اللاتينية على ترتيبها بعد أن طبع معظمه بالحروف العربية على ترتيبها فبق ناقصاً حائراً بين القديم والجديد .

كانت عا الترك الثمانيون من تاريخهم ستة قرون حين اختاروا لنفسهم الحروف اللاتينية . فهل هم بترفون ، كما قال ذلك الأديب القارمي ، أن لم تاريخاً لا يضيرهم أن يحى منه ستة قرون ؟ وليت شعري هل لم في التاريخ غير هذه القرون الستة ؟ مثل لنفسك سبباً تركياً ممن تعلموا القراءة بالحروف الجديدة يدخل اليوم جامع القامح أو سليمان فينظر إلى أسماء الصحابة فلا يدري ما هي وينظر إلى اسم القامح واسم سليمان القانوني فلا يدرك منهما حرفاً . وتصوره في بروسه في أولو جامع (الجامع الكبير) الذي جعل الخطاطون الترك على مر المصور جدره معرضاً لبدائع الخط وفتونه ، تصوره ينظر إلى آثار أسلافه فلا يتبين منها شيئاً ، ويورد لو كتبت بالحروف اللاتينية . وتصوره كذلك أمام كل أثر عظيم من آثار المسلمين . وتصوره وقد شب وقوى على المدرس والبحث يذهب إلى مكتبات استانبول فيرى من آثار أسلافه ، وكل المسلمين أسلافه ، أكداصاً لا يفقه منها

حرفاً إلا بدرس خاص . ألت ترى هذا الناشئ مقطوعاً من تاريخه ، غريباً عن قومه ، ألت تراه ينياً حرم ميراث آياه ، وجنى عليه سغه أو صياله ؟

وقد ذهب مع الحروف العربية فن جميل بلغ فيه الترك الغاية ، وتنافس في تجويد سلاطينهم وأمراؤهم وكبراؤهم فأتوا فيه بآيات الجمال وحيل التاريخ ؛ وشد ما يهيج الحسرة أن تسير في شوارع استانبول عند الباب العالي ترى الخطاط التركي الماهر وقد كسدت بضاعته ، وحاولت أن تجاري الزمان صناعته ، فكتبت على مكتبته بالحروف اللاتينية Hattat أي خطاط

سيقول بعض الناس إن هذه العواطف لا ينبغي أن تموق سير الأمم ، وأنا أقول لو كان هذا سيراً ما اعترضناه ، ولو كان إصلاحاً ما عارضناه ، ولكنه تقليد يصف بتاريخ الآباء ، ويزول أقدام الأبناء ، ويقطع سنن الأمة كما تقطع جذور الشجرة

وقد وصل الكاليون عملهم في الحروف العربية باجتهادهم في نبد الكلمات العربية والفارسية . زعموا أنهم يريدون إنقاذ اللغة التركية من الكلمات الدخيلة ، فما بالهم يخرجون كلمة عربية ليضموا مكانها كلمة أوربية ؟ كانوا يسمون معهد الأبحاث التركية « تركيات مؤسسه مي » فحوها وكتبوا « تركيات أنستيتوسى » فلماذا آثروا كلمة institut على مؤسسة ، وهي كلمة هم واضعوها في العربية وعندهم أخذها العرب ؛ وكما كان لهم من حلق وذوق سليم في وضع مصطلحات علمية باللغة العربية التي اتخذوها من وسائر المسلمين كالاتينية عند الأوربيين . وكانوا يسمون الجامعة « دار الفنون » فسموها Université ، وكذلك وضعوا مكان معلم ومدرس وغيرها من ألقاب الجامعة ألقاباً أخرى أخذوها من الألمانية ، ومثل هذا كثير . فليس بالقوم الإصلاح أو المصيبة التركية ، ولكنه بغض العربية . وإذا تحكم بغض الحب في تصريف الأمور لم يبق للحق والهدى مكان .

وكان لهم في العام الماضي مؤتمر لنوى تكلم فيه أستاذ في الجامعة فقال : إن بين العربية والفارسية والتركية علائق يجب الإبقاء عليها ، فطرد من المؤتمر ومن الجامعة ، تقديساً للحرية التي يتخنى بها الكاليون ، وسمعت أن حسين جاهد ، وهو من الدعاة الأولين إلى المصيبة التركية في اللغة قال في المؤتمر إن إنقاء اللغة يتم على مر الزمان ، ولا تصلح فيه الطفرة . فشم وأسكت

وأودى ، ولو كان الأمر بحثاً وإصلاحاً لاتسع للآراء المختلفة ، وأخذ فيه بالنظر والروية

وقد سمعنا أن الفرس يريدون أن يحدوا حدوا الترك في هذا . ونحن لا نكره أن يأخذ الشرقيون بمضمم عن بعض ، وأن يزول الصداق القديم بين الفرس والترك ، وينسوا ما تصفه الشاهنامه من حروب إيران وتوران ، وما يحدث به التاريخ من جلاد الصفويين والعمانيين . أجل ، أدمو الله أن يؤلف بين الأمتين ، ولكن لا أحب أن يقلد بعضهم بعضاً في هذه الترهات ، وتقتيل إحداهما الأخرى في هذه الضلالات

نحن لا نشكر على الترك والفرس أن يؤثروا الكلمات التركية والفارسية على الكلمات العربية حين يحسون الحاجة إلى ذلك ، ويدعوم إليه إصلاح اللغة وتجميلها ، وإنما نشكر عليهم أن يعملوا ذلك بنفسا للغة العربية ، وإشاراً لتقطيع الأوصال بين الأمم الإسلامية . إن في الفارسية والتركية اصطلاحات علمية وأدبية كثيرة ، بل تكاد تكون اصطلاحات الآداب والعلوم كلها عربية ، وهذه الاصطلاحات هي من أعظم الروابط بين الأمم الإسلامية . وفي حذفها مفاسد كثيرة ، منها أنهم يحرمون أنفسهم اصطلاحات وضمت واستقرت ، ومحدثات ، وأحكمت الاستعمال في عنصر متطاولة . وليس الاصطلاح على الكلمات ، وخلق اللغة العلمية بالأمر اليسير ؟ والثاني أنهم يباعدون بين اللغة العلمية القديمة واللغة العلمية الحديثة ، وفي ذلك ما فيه من الفصل بين قديم الأمة وحديثها ، والحيلال بين المحدثين وما كتب أسلافهم ، وبين مؤرخي الآداب وفقه أطوار الأدب الأول

والثالث أنهم يقطعون الوشائج بين آدابهم والآداب الإسلامية الأخرى التي شاركهم أهلها في تأليف حضارة واحدة ، على حين يشي الناس للتقريب بين الآداب واللغات ولا سيما اللغات العلمية ، وهم أنفسهم من الساعين للتقريب إلى أهل أوروبا أو الفناء فيهم . فلماذا الوصل من ناحية والقطع من ناحية أخرى ، والتقريب إلى قوم والتباعد من آخرين ؟ بل لماذا التقريب من الأعداء ، والتباعد عن الأصدقاء ، وحجب الأمم الأوربية وبنفس الشعوب الإسلامية ؟ هل لذلك من تأويل ؟ والرابع أنهم يسررون لنهم على طلابها من الأمم المزينة خاصة والأمم الإسلامية عامة ، والأمم نسي اليوم لتيسير لغاتها وتسهيلها على طلابها

لست أقول هذا اشتقاقاً على اللغة العربية ، أو عصبية لها ، فليس يحسن التشكيم بالعربية والقارى فيها أن ألغاطاً منها مستعملة في الفارسية والتركية أو غير مستعملة ، ولا يهتم بهذا إلا حين يدرس الفارسية والتركية ، ودراسة هاتين اللغتين من شؤونهما لا من شؤون العربية ، وإنما ينبغي ألا تقطع الصلات بين أم عاشت دهوراً متأخية متعاونة كأنها أمة واحدة . وإنما يدعوني إلى الجدال أن الأخوة الإسلامية ، والجامعة الانسانية ، تنفر من هذه المصيبات القاطعة ، والتعرات المفرقة

وفي اللغة العربية كثير من الكلمات الفارسية عرّيت وأدجت فيها ، وصيغت على أوزانها ، وما يفكر العرب في اخراجها من لغتهم ؛ ثم ألا يرى الفرس أنهم إن ذهبوا مذهب الترك في أمر اللغة فار عليهم الأفغان والمهند المسلمون وأهل كشغر وما وراء النهر ثورة أدبية فنبذوا اليهم لغتهم التي اتخذوها لساناً أدبياً ، ثم اجتهدوا في اخراج الكلمات الفارسية من لغتهم ؟ أضرب لآخواننا مثلاً أوربياً ، فإن الشرقيين لا يعرفون الحق إلا إذا شهدت به « ماركات » من أوربا :

هذه اللغة الانكليزية - وهي ما هي انتشاراً بين الأمم ، وذيوها في الشرق والغرب ، فيها كثير من الألفاظ اللاتينية والجرمانية ، ومعظم اصطلاحاتها في الآداب والعلوم لاتينية . وقد وقع ما وقع بين الأمم اللاتينية والانكليز من سرور متبادية ، وما فكر الانكليز في أن يجسوا الكلمات اللاتينية وينبذوها إلى اللاتين كرامة لهم ، أو عصبية للنهم ؛ ما فعل القوم هذا ، لأن لهم من جلائل الأعمال ما يشغلهم عن هذه المسافيق

القوم يذهبون مع الحياة مذاهبها ، ويتوصلون لها بغير وسائلها ، فلا تتسع أوقاتهم المناقشات في الحروف والألفاظ ، ونحن نتمض أعيننا عن أواصر تجمعنا ، وآلام وآمال تقرب بيننا ، وتقلب تاريخنا لتتمثر على عداوة قديمة ، أو حرب ذهب الزمان بذكراتها وآثارها ، لنخلق منها قطيعة جديدة ، ونثير بها خصومة شديدة . كاد الانكليز والألمان يتفانون ويفنوا الأمم معهم منذ خمسة عشر عاماً ؛ وهم الآن يمدون أيديهم للتعاون والتعاقد ، فإن يذهب بك أيها الشرقيون ، وإلى أين تساقون أيها المسلمون ؟ ذلك كلام واسع الجوانب ، بعيد الأغوار ، لا يتسع له هذا المجال . ولعل لي إليه عودة إن شاء الله

(له بقية)

عبد الوهاب عزام

من مشاهد الشرق

٢ - طائفة البهرا في الهند

في الطريق الى راعي الدعاة

بقلم محمد نزيه

البهرية ، فاذا انتهى هذا به إلى الشيخ فأذن ، حدد الموعد بحساب الدقائق فيما لا يستنفد من الساعة إلا أقلها ، وعلى أن يذكر الزائر أن الدقيقة ستون ثانية ، والثانية ستون ثالثة ، فكان دقائق القلب لا تسف في هذا الحساب

وكان أن تفضل الشيخ الأكبر ، فأذن لرئيس وزرائه أن يستقدمي ، ضاربا للقاء موعداً من مساء يوم قريب . . . فلما أن اقترب الموعد ، ركبنا إلى قصر الشيخ ، وكعبة الحجيج من أبناء الطائفة ، في (وال كيشر)

ووال كيشر ، هو من تفرعي من الطبقة الرفيعة من سراته الاقليم ، أقيم على ربة عالية تطل على المحيط وتشرف على المدينة كلها - لكأنه نجم مهاغن ذكره الفلكي - ليس بين قصوره وعماره إلا متاحف تطل على المهند وتقصع من جاعها وترفع النقاب عن فنونها - من شاء أن يعلم أين تنصب كنوزها في هذا الحى السعيد مصبها ، وفيه يستحيل الذهب فنونا ، وتقوم الرياض على قنة الجبل كأنها البنود الرفوعة . ألبس زرعها بتأويج من مداعبة النسيم كما تتأويج البنود ، ألبست مطرزة بألوان من الزهر مختلفات بين أحر القزقل وأبيض الترحس وأصفر الورد وأزرق البنفسج ، على صفحة من خضرة مذهبة ، ثم لعل ما ينفخ الناس من طيها فينبهم إلى نحيبها إذا أغفلوا ، إنما يقوم في موضع تلك القداسة المتبوية التي تبه الناس إلى تحية العلم

بلغت السيارة بنا إلى وال كيشر ، فتباطأت عند أقدامه وتبثبات لتصعيد في مراقبه ، وأخذت تطوى مسالكه ونحن في داخلها كأننا تحت أجنحة طائرة ، وقد مهد الطريق على شدة صعوده وكثرة منمرجاته ، وامتد الزرع على جانبيه ، وقد امتزج سكوت الليل لاذ ذلك وسكون المظنة يزدهى بها هذا الجبل الذي لا يحمل على أكتافه ، ولا يضم إلى صدره ، إلا العطاء وفنونهم ؛ فاذا رهبة زاد بلوغها في النفس هذه الأصواء الخافتة التي تشع من مصابيح الطريق ، ولا راجل في مراقب هذا الجبل بل سيارات تصعد بأهلها أو تهوى بهم فينه بعد فينه . وفيه يقدم الراجل على ركوب هذا الجبل ؟ وهو لا ناقة له فيه ولا جمل ؟ أما خفوت الأصواء ، ظلم له غاية لا تمت بسبب إلى مبادئ الاقتصاد هبة للمبادئ التي يلفظها هذا الجبل ، بل لعله يرتفع

وأذن الله أن أبرح عدن إلى الهند ، فلم تفرح النفس توافه إلى رؤية الشيخ الأكبر لطائفة البهرا ، ولم تزل تستنفر عزمي حتى طامدت كل منهما صاحبها على أن تكون زيارة الشيخ أول ما أتكلف له بعد مطالعة (مجي) ، فلم أكذأتنيخ الزاحلة في هذه المدينة ، حتى طالمتني أبناء هذه الطائفة زرافات ووحداً ، تخرج بهم المدينة ؛ فهم في شوارعها ودروبها وحواريها يعرفون بطول اللحي ، وباللباس الأبيض ، و (البنطلونات) تحت المعاطف القصيرة ، وبالنشاط الذي لا يفتقر ، وبالوقار الذي لا يذهل عنه ؛ فقامهم قوم جبالاً على النشاط حتى لتحبسهم في سرجهم إذا ساروا وفي دأبهم إذا عملوا ، أصناف أضفافهم ، هم لا يتجاوزون العشرين ألفاً في مدينة تزخر بليون وثلاثة ألف نسمة ؛ ولكن دأبهم جمل الواحد منهم عشرة أشخاص لا تكاد تراه هنا حتى تشهده هناك ، كأنه من طام الأرواح . . . هم كاللوج المتلاطم على سطح المحيط ، يضيق به الخضم وهو منه كالخضاة من الجبل ، بل وتغشى السفن في طريقها تشق الباب ولا تحفل به ؛ حتى إذا دوى اللوج ارتدت فرقا ، واهتزت رعباً ، وكانت تهتز هبياً

ليس من جماعة البهرا من لا يجمع إلى فصاحة الأردية خلافة البكجراتية ، ووطاة الانجليزية ؛ وليس فيهم من يعرب لباسه من حاجة ، أو يتم ضعفه على هوان ، فكلمهم عند نفسه كبريم ، وفي قومه عزيز

كنت راغباً في زيارة الشيخ الأكبر ، فلم يزدهني ما تحققت من طوابع طائفته إلا رغبة أمت زوى ، وأصبحت هواجس - والشيخ لا يحظى بالاستئذان عليه إلا كل عظيم بارز في قومه ، ولا مناص - لمن شاء - من رجاؤهم يتقدم به إلى رئيس الوزارة

إلى المهند من هدايا ؛ فكانت نصيب هذه الغرفة
ظلمت أنامل محتويات الغرفة دقائق لعلها بلغت عشرين ، حتى
أقبل على رجل متدل القامة كريم الوجه ، هو في نحيى المقد
السادس من العمر ، يني الجذ في ملاعنه والنفوذ في عينييه
خلف منظاره الأبيض ، والاتصاف في قامته ، والهدوء في نبرات
صوته ، عن أن له في هذه الدولة شأنًا ؛ طويل اللحية أسودها ،
يرتدى معطفًا قصيرًا من أنقشة الصيف خفيف الاسمرار مشدوداً
إلى عنقه ، تحته بنطلون من القماش نفسه ، وقد نعم على
طربوش ، غيا ، ثم استوثق من أننى صاحب الموعد المضروب ،
فاقتادنى إلى مجلس داعى اللعاة

ذاك رئيس الوزاة البحرية ، وكاتم سر إمامها ، وأقرب القوم
إلى نفسه ، وهو من وجوه المدينة وأعلام رجال المال فيها ، وهو
من يلقى الحاكم إليهم سمعه ، ولا يضن بالطاعة له المحكوم . . .
ثم هو قبل ذلك ومع ذلك وبعد ذلك ، خادم للشيخ لا يعدل
بحرته تلك مرتبة إلا أن تكون في السماء

محمد زب

القاهرة

وزارة المعارف العمومية

اعلان مناقصة

تقبل العطاءات بمكتب خضرة صاحب العزة وكيل
المعارف المساعد للتعليم العام بوزارة المعارف بشارع الفلكي
بمصر لفاية الساعة العاشرة صباحاً من يوم السبت الموافق
٧ سبتمبر سنة ١٩٣٥ ، عن توريد أدوات أشغال الابرة
اللازمة للمدارس الوزارة في سنة ١٩٣٥/١٩٣٦ مثل بفتة
وتيل أبيض وخيط أبيض وملون وأبز خياطة وصوف
للحبل الخ .. ومستفضل المصنوعات المصرية . ويمكن الحصول
على شروط ومواصفات المناقصة المذكورة من إدارة المخازن
بشارع درب الجاميز بمصر نظير دفع ثمنها وقدره مائة مليم

بساكنيه متصفا باللو من سيلها ، وعاصيا لهم منه ، إنعاشي
دعوة الجلال ، ومن آياتها ألا يطنى النور الصناعي على النور
الطبيعي ، على نور القمر وما أحاط به من كواكب

كنا نجتلي مفاتيح هذا المنظر السحري ، والسيارة توغل فيه
كأنما نسيت أنها تقصد بيتا ، فاندفعت على غير هدى تريد أن
نصل إلى أعماق هذا الابداع ؛ أما أنا فقد صرت في برهة
ما شككت أثناءها في أنني أترك العالم ، وفي أنني لن ألبث
طويلاً حتى أبلغ ما وراء الكون ، وأهتدى إلى أسرار الخلق
وغوامض الحياة والموت .. ثم ليكن ما يكون ، وما زالت أرواحنا
تسمو ويخلص جوهرها من شوائب الدنيا وأعراضها وشهواتها
حتى صارت كأنما فرغ الله من صنعها منذ طرفة عين ، ذلك كله
والسيارة تهتز في منطفات الجبل كأنها سكرى . . . بل هي
سكرى ! ولم لا ؟ وهي تسبح في بحر الطبيعة ، ثم لم لا ؟ ومن
شأن هذا الجلال أن يشيع الحياة في الجواد

انتهينا إلى بوابة رحية الجانبين مفتوحة المصراعين ، وكنت
حماتها إلى حارسين عليهما أزياء الجند ، ما إن نفذت سيارتنا
منها ، ثم هوت خطوات في جادة القصر ، حتى كنا في قلعة ذات
أبراج ، تكاد تقطع بيننا وبين معالم الدنيا ، وكأنما أعدت لتقارع
الفناء ، ولتجتع بها الأبد

ثم استقرت السيارة بنا في منتصف هذه الجادة عند ردهة
على يمينها ذات ثلاثة أبواب ، وهناك ابتدنا خادمان ملتحيان
هما من أبناء الطائفة بالسؤال ، فأجبتنا ، وإن هي إلا برهة حتى
استقبلتنا غرفة الانتظار عن عين الردهة ، فلما شرفت إليها ساق ،
ممس سائق السيارة في أذني بانجباريته المفهومة على أى حال ،
أن اخلع نعليك فذلك عند القوم سنة مؤكدة ، وقد فعلت ،
ودخلت فاذا غرفة تتسع لبعو سبعة أمتار في نصفها ، صفت
إلى جدرانها كراسي نظيفة ليست بالويرة ولا بالخشنة ، وكل
أبهرتها في سجادتها البيضاء ، المتسمة بأبهى الألوان في أبدع
الشكل ، وفي تلك الصور القليلة تحف بها إطاراتها الثمينة ، وقد
نبتت إلى الجدران ، وبينها صورة الحرم القدسي رصعت
بالأصداف ، وقد علت أنها كانت فيها حمله وقد المؤتمر الاسلامي

- ٢ -

كان لهذه النشأة أكبر الأثر في صدق شعوره وإحساسه بالآلام ، وتعبيره عنها أدق تصوير ، ورسمه صوراً شفافة واضحة لألوان البؤس التي يكتوى بنارها الشعب ، ويقامى بسببها المذاب وجدير بنا أن نتساءل : أكان مدفوعاً إليه بنفسه ، مطبوعاً في حسنه ؟ أم هو البيان يثيره والشعر يحفز به ؟ أجاب حافظ - رحمه الله - بما يقطع كل شك ، ويقضى على كل تأويل :

ذقت طعم الأسى وكأدت عيشاً دون شربى قنء شرب الحمام
فتقلبت في الشقاء زماناً وتنقلت في الخطوب الجسام
ومشى الهم ثاقباً في فؤادي ومشى الحزن ناخراً في عظامي
فلهاذا - وقفت أستعطف الناس من على البائسين في كل عام
ولقد عرف إحساسه خلق كثير : عرفه صديقه الجليل الأستاذ الشيخ عبد العزيز البشري ، فقال في المرأة : « على أنه ما فتى طوال أيامه يشكو البؤس . . . ولعل هذا من أنه نصجت شاعريته في باب (شكوى الزمان) ، وقال فيه ما لم يتعلق بفنائه شاعر ، فهو ما يبرح يطلب البؤس طلباً ، ويفتقده تفقداً . » ولا يبتك مثله صديق

وعرفه كل من خالطه وحاشره ، بل عرفه كل من قرأ شعره ، وتصفح ديوانه الذي هو صورة من نفسه « قد بدروا أن الشعر في كل أرض هو من نفس أهلها منزوع »

- ٣ -

إذن كان حافظ يتطلب البؤس والبائسين طلباً ، ويفتقدهم تفقداً ، وكانت لديه رغبة قوية صادقة في مشاركة البائسين آلامهم ، ومشاطرتهم أحزانهم ، « والرغبة ^(١) الحلق هي تلك القوة الروحية التي توحى إلى الشخص القيام بالشيء بهمة لا تعرف السكال ، ولا تقف دونها عقبة : رغب « إبراهيم لنكولن » في تحرير العبيد يوم ذهب مع بعض المال إلى السوق ، فوجد جارية تباع وتشترى ، فتألم لبيع الإنسانية وشراؤها الألم كله ، وتعنى أن لو أعطى ساطعة حتى يضرب على الاسترقاق بيد من حديد ، فأعطى الفرصة بمد زهاء ثلاثين عاماً ، بانتخابه رئيساً للجمهورية في ولايات أميركا المتحدة ، فكان من أوائل أعماله ، العمل على تحرير العبيد

(١) الأستاذ محمد عطية الإبراهيمي

حافظ بك ابراهيم

أثر حياته في شعره

بتأنيده ذكره

بقلم السيد أحمد العجان

نمحيه :

لست أحاول التحدث عن نواحي الدراسات المختلفة في أدب حافظ ، فإن مباحث شعره المتعددة لا تأتي عليها لغة سريعة ووقت قصير ؛ ذلك لأن العاطفة في رثائه موضوع دراسة ، وقضايا المعاني في خبراته موضوع دراسة ، وظروفه وفكاهته ومبدعه ووصفه كلها محل بحث وتناول وتحليل ، ولقد تكلمنا ^(١) عن حافظ (الشاعر الوفي لمصر) في ذكره الثانية ، وسنتكلم اليوم عن ناحية جديدة لها متين الصلة بالمجتمع ، وكبير الأثر في حياتنا العامة ، وهي أثر حياته في أخلاقه وشعره

- ١ -

نشأ حافظ إبراهيم - رحمه الله - نشأة شعبية ، قد زخرت باللوان العيش ، وتقلبت بين منع دنيا لم تشبعه ، وبؤس زمان غلب عليه ، وعاش مسكيناً وبائساً في مجموع حياته ، لا تستطيع أن تحدد صفوه ونسيمه بشهر معلوم ، ولا بسنة ، ولا بفترة من الزمان طويلاً ؟ فإنه قد يكون في اليوم الواحد شقياً وسميداً ، بائساً وغنياً ، إلا أنه في المجموع متقلب البؤس ، متداني الرزء ، غير محدود

وما النعيم لديه إلا فترات يخلقها ما فيه من ظرف وحراح ، وتبشها مداعباته وفكاهته ، ويولدها تفاؤله بالمستقبل ، ويقينه في الغفر ، ثم ما يراه في العلم والفضيلة من تقريب للسعادة ، وسمو بالروح

وعذا القدر من الظرف والرح هو الذي هيا لحافظ عطفاً على فقره ، وولد فيه حسناً من بؤسه ، وحببه إلى الصالحين والمساكين ، ودفعه إلى مواساة البائسين ، ومشاركة المحزونين ، فأنصح أن في البؤس ذلة وانكساراً ؛ فإن في الحنان ميلاً إلى البر ، وانفتاحاً إلى الصدقة

(١) العدد ٥٦ من (الرسالة)

ثم لهذا أيضاً بكى كل مصاب ومفجوع ، وفاح على كل ضائع
وشريد ، واستبكى المحنين منه ليتدر عطفهم ويستميل قلوبهم

- ٦ -

وإذ أحس أن كثيراً من أهل السرة وضيق اليد يرمزون
المال ويتشبهونه ، حتى إذا لم ينالوه يمسوا من الدنيا ، وسخطوا
على الحياة ، أخذ رحمه الله يبالغ أدواءهم ، ويهدم مذهبهم
فهو مع فقره لم يتبرم بالحياة إلى حد القنوط ، ولم يخطئ
عليها حتى اليأس . فليس التجرد من المال فقراً ، وتكديس
الخزائن به غنى ، ولكنه وسيلة ترفيه وأداة رغد ، فإن لم يقد
متاعاً ولم يكسب متاعاً ، فلا خير فيه ولا منفعة منه . وأنه
كثيراً ما اجتمع له المال الوفير من كتب ألفها وترجمها ومغالات
كتبها وسطرها ، ووظيفة قبضها ، فما استقر عنده ، ولا عمل
على إبقائه . قال الأستاذ البشري في المرأة : « وهو أجود من
الريح المرسلة ، ولو أنه ادخر قسطاً من الأموال ، لكان اليوم
من أهل الثراء ، على أنه ما فتى طوال أيامه يشكو البؤس ، حتى
إذا طالت يده الألف جن جنونه ، أو ينفقها في يوم إن استطاع »

- ٧ -

ثم أمسك بأيديهم ، ونهض بهم إلى حيث المجد يبتنى ،
والشرف يتال ، وعزة النفس تكتسب : بالعلم ، بالأباء ، بالكرامة
والرزق ووفرة المال ، بالحمى ، بالمجعة ، فأرض الله رحمة واسعة :
وفيها لمن رام الحياة سعادة وفيها لمن رام النعيم مقام
والنفت إلى الحاكيت والسرعة يستثير عطفهم ، ويحرك
الشفقة والحنان نحو مساكين تتألمهم غير الدهر ، وتوالي عليهم
أحداث الزمان ، وبائسين يؤلمهم الفقر ، ويؤذيهم العرى

- ٨ -

وعاطفة الواساة ترتق بحفاظ : فلا تقتصر على موااة
الفقراء والمسكوبين ، وأمرى الحروب والمحقين ، ولكنها تنوح
بالألم ، على كل حالة يعتبرها صاحبها شقاء ويظنها تصاعاً . على كل
حالة تصرع الرجل فيها الشدايد ، وتعضضه النوايب ، وتهده
المطامير والشوائب . على كل حالة يتبدل فيها شأن الإنسان من
رضى وسكون ودعة ، إلى تبرم وسخط وكراهة ، من شعور
بالراحة والسعادة والهناء ، إلى تدمير وامتناض وموجلة ، فزاه

وإن شدة الرغبة في الإصلاح الاجتماعي هي التي جعلت
« شارلز ديكنز » أكبر كاتب ومصلح اجتماعي بالإنجليزية في القرن
التاسع عشر

وإن الرغبة في أعمال الآلات هي التي جعلت « أديسون »
أكبر مخترع في القرن العشرين . والأمثلة كثيرة لا حصر لها
وهذه الرغبة كانت قوية لدى حافظ ، تهزه ويجيش بها
صدره ، صادقة غاية الصدق ، أراد بها إنقاذ الشعب من ذله ،
وتحريره من إسماره وعبوديته ؛ فلست أحسب رجلاً وهبه الله
إشفاقاً على البائسين ، وحناناً على صرعى الفقر ، وضحايا الأملق ،
ومنكوبي الزلازل والعرق والحريق كشاعرنا العظيم ؛ فهو يرسم
بيانه الذي يطاوعه صوراً ناطقة تكاد تجسم أمامك ، وتمثل
بين يديك ، تسمعك أنينها وترجسها ، وتبثك آلامها وتفعجها ،
وتحرك فيك ما كن من عطف واستمر من حنان . فما صنعت
فرصة إلا غرد بالألم ، ولا حانت مناسبة إلا دعا إلى الرحمة

- ٩ -

ولهذا نراه شديد الولوع بقصص الرزوتين ، وروايات
المدممين . شغف « بالبؤساء » فترجسها ، وهام بها فنفقها إلى لغة
قومه ، لأن فيها إرواء لماطفته ، وغذاء لزعته ، وتعبيراً صادقاً
عن خلجات قواذه ، ولأنها متتبع خاطره ، ومهوى قلبه . واختار
لها من الألفاظ والأساليب ما يذيب قسوة الصلابة رقة وليناً ،
ويحترق أذن الأصم فيضحي صميماً . ولأنها تمثل لونا من الإنسانية
المعدية ، وطائفة من أسرى الموز ، ونخبة من ضحايا تتكرر على
الدوام ولا ينقطع ، تتكادها المصوم ، وتمثل بها خطوط الزمن ،
وتنهشها أفاعى الضنك على مرأى من السراة وأولى الأمر ، فلا
يخلصها منقذ ، ولا يدافع عنها نصير

- ١٠ -

ثم لهذا نرى الغزل في شعره قد توارى واختبأ ، ولا نستطيع
أن ننسب حافظاً إليه ، لأنه أحس بما يشغله من تتبع المرأة ،
وبصرفه عن طلابها

وقد يكون ذلك اضيق اليد ، وخلق الجيب ، إذ من شأن
الانصال أن يتطلب المال ، والوقت ، والثراء . ولكنني أرجح
الأول ؛ لسمو غايته ، وببل مقصده ، وموافقته لحياة شاعرنا

يباع فأشتره « ؛ بل فطن لما فرط منه ، واقتبه لما بدر ، فغضض
عن نفسه غبار الشجر ، وكابوس الجزع ، فهو يسوده أن يضيق
ذرعاً بدنياء ، ويؤكد أن الاستسلام للألم مما يشينه ، وقد يدوقه
عن تأدية رسالته . فالمراساة ليست بكاء فقط ، أو ألماً خفياً ،
ولكنها : تسرية هموم وتخفيف مصاب ، ثم هي فوق ذلك جاب
منفعة ، وإكساب فنيمة ، وليس في مقدوره أن يخدم الفقراء
والبائسين إذا خاق بالحياة وسخط على الدنيا ، وأزوى بميداء ،
لا يتصل بالحاكين ، ولا يتعرف ما عند المحسنين

— ٩ —

ولقد عرف أن تخليد الذكر إنما يكون بالأحسان ، فهو أبقى
على الزمن ، وأدوم في التاريخ ؛ فأخذ يقرى الحاكين بالمطف
على أبناء الشعب والعمل على إسماعه ، ولا سيما أن منصب الوزارة
ليس دائماً ، ولكنها الصالحات والمؤسسات الخيرية أبقى
وأكثر ذواماً :

إن للناسيب في عزل وتولية غير الواهب في ذكر وتخليد
وأغرى السراة بالاتفاق على الفقراء ، فاقد يكون منهم الزعيم
السياسي يخلص الوطن وينقذ البلاد ، أو الرئيس الديني يرعى
الأخلاق ويحمي الشريعة ، أو الشاعر النابغة يهز القلوب طرباً ،
ويتقف العقول بياناً وحكمة :

أيها الثرى ألا تكفل من بات عروماً يتيماً مصرأ
أنت من يدريك لو أنبتة ربما أطلمت بدرأ نيرا
ربما أطلمت (سعداً) آخرأ يحكم القول ويرق المنبرا
ربما أطلمت منه شاعرا مثل (شوق) ناهيا بين الوري
ربما أطلمت منه (عبد) من حى الدين وزان الأزهرا

كم قضى البؤس على موهبة فتوارت تحت أطباق الثرى
كل من أحيأ يتيماً ضائعاً حبه من ربه أن يؤجرا
ثم نراه يبين لأولئك السراة أن لا قيمة للمال إذا لم يصحنا
من الفقر ، ولم تؤسس به الملاجئ ، ودور العلم ، وبيوت الشفاء ؛
فإن الدينار نفرح به مادام في أيدينا ، حتى إذا ما دخلنا به السوق
كان والدرهم سواء . والمال الكثير إذا حل الفلاء ؛ يكون قليلاً
بعضى سريماً

نهش إلى الدينار حتى إذا مشى به ربه للسوق ألقاه درهما

رواسى ملوكاً غاب عن جيبهم التاج ، وسلاحين خلت أيديهم من
من الملك ، وأصبحوا يحتنون بالقانون بعد أن كانوا مصدر
القانون ، ويخضعون للنظام وقد كانوا يصدرون النظام ، ويتبدلون
بالتحاي المارفين وقد كانوا بها يتبدلون ، ولهم مراسيم تقضى
وواجبات تؤدى

هذه الامبراطورة « أوجيني » زوجة نابليون الثالث تقدم
مصر بعد زوال ملكها ، فيرفع لها حافظ تحيته ، بل مشاطرة
ومواساة :

إن يكن غاب عن جيبك تاج كان بالقرب أشرف التيجان
فلقد زانك الشيب بتاج لا يدانيه في الجلال مداني
ذاك من صنعة الأنام وهذا من صنيع المهيمن الديان
فأعذرنا على القصور كلانا غيره طواري الحداث
وقال في فتنة الآستانة موجهاً إلى السلطان عبد الحميد صورة
من التأسى والتعبر ، مشفقاً عليه باكياً ، بعد أن كان مفيظاً
حافقاً ، يمين على الشامتين شامتهم ، وينتقص رجولتهم ، ويبين
أنه لا زال خارج الحكم عبد الحميد كما كان مملوكاً حاكماً :

كنت أبكى بالأمس منك فالى بت أبكى عليك عبد الحميد
فرح المسلمون قبل النصارى فيك قبل الدروز قبل اليهود
شتموا كلهم وليس من الحمسة أن يشتم الورى في طريد
ما عهدنا الموت بكى ولكن علما نزة النؤاد الجليد
شفع الدع فيك عند البرايا ليس ذاك الشفيح بالردود
دمعك اليوم مثل أسرك بالأمس مطاع في سيد ومسود
ولعل هذه الفواجع المتكررة ، والأرزاء المتتابة ، التى يستوى
فيها الفقير لا يجيد قوتاً ، والشريد لا يثر على مأوى ، والملك
لا يأمن غدر الدهر وخيانة الزمن ، والسلطان لا يستقر به الجاء ،
ولا تدوم له العزة — لعل هذه الفواجع — هى التى جعلت
حافظاً ينحى باللائمة على حواء أننا الأولى ؛ لأنها ولدتنا ولم
توص الزمان بنا خيراً ، مع عرفاتها بصروفه وأكداره :

لم تلدنا حواء إلا للشقى ليها عاقل من الأولاد
سلتنا إلى صروف زمان ثم لم توصنا بحفظ وداد
ولكنه في غضبه هذا لم يذهب كما ذهب غيره : يدعو الموت
ويتطلب مبارحة الحياة وفراق الدنيا ، ولم يكن كمن قال :
« فياموت زر إن الحياة ذميمة » ؛ ولا من قال : « ألا موت

الى الأستاذ امين الخولي :

حول الفقه الاسلامي

والفقه الروماني

للاستاذ صالح بن علي الحامد العلوي

قرأت ما كتبتكم رداً على مقال من الفقه الاسلامي والروماني وأشكركم على حسن ما ظننتم بي من النيرة الدينية وجميل الأدب في النقاش . وبما أنك أيها الأستاذ قد تنكبت في ردك جوهر الموضوع في مقال إلى ناحية أسلوب التفكير وصحة الانتقال والاستنتاج -- كما عبرت -- مكتفياً ببيان أنك قد اطلعت على الموضوع نفسه وأنه قد نشر في مصر -- وربما بنصه -- منذ ربع قرن مضى الخ ، وقلت إنك قرأته ولا تزال تذكره جيداً ومع ذلك قلت فيما قلت عن تأثر الأورباقي بالفقه الروماني الخ

فاني أقول لك -- على تسليم ما ذكرت -- : اني لم أكتب ما كتبت منسهماً لك في معارفك ومعلوماتك ، ولا لأن أفتدك أنت وحدك فقط دون الجلم الغفير من قراء (الرسالة) القراء الذين قد قرأوا ولا شك رأيك ورأى غيرك في الموضوع وإلا لما كان الأمر في حاجة إلى نشره في صحيفة سيارة كالـ (رسالة) ، فالأمر قد صار أعم من أن يختص بي أو بك . أفليس من اللازم أن تجيب -- ولو بإيجاز من كل ما كتبت -- وتبسط للقراء رأيك مدعماً ببراهين لا تنقص -- على الأقل -- عن براهين مناظر لك ، وبذلك تكون قد أشرت السبيل للقراء لأن يهتدوا برأيك وينفقوا مهلك على تأثر الفقه الاسلامي بالفقه الروماني . وإلا فلا معنى لأن تفتح باب البحث مختاراً ، ثم إذا دعيت إلى بسطه عمدت إلى سده متعللاً بضيق الوقت

لا بأستاذ ! إن الوقت الذي تمتد بضيقه الآن قد اتسع لدرس علوم وفنون وسنائع قد ضاق عن أقلها الزمن الماضي ، فلماذا بضيق ذرعاً بالخوض في هذا البحث وحده ؟
وإذا كان قراء الصحف الأسبوعية لا ينشطون للنقشة الفنية

فلا تحسبوا في وفرة العلم لم تفد متاعاً ولم تعصم من الفقر منها فان كثير المال والخفض وأرف قليل إذا حل الفلاء وخيا
— ١٠ —

ولقد بصر بلذع السؤال وصرارته ، وألم الاستجداء وحرقة فأهاب بالهسنيين أن يصدروا عن عاطفة ، وألا يجرؤوا المهروم ؛ فان خير الصنائع ما تنبو بحاملها عن الاهابة ، وإن الذي يجود بعد الحاح وطلب كثير ؛ هو الممدود من البخله :

خير الصنائع في الأنام صنعة تنبو بحاملها عن الأذلال وإذا السؤال أتى ولم يهرق له ماء الرجوه فذاك خير نوال من جاد من بعد السؤال فإنه وهو الجواد يعد في البخل وهو لذلك يرباً بنفسه أن تمد يده لذي منة ، وأن تبسط لمن يستعذب سؤال المحتاج ، أو من يمتز بفناء ليسخر من مسبب معوز ؛ فيصف ويود لها البلى قبل سؤال الدنيا اللثيم أيا يد ما كلفتك البسط مرة لذي منة أولى الجميل وإنما فله ما أحلاك في أعمل البلى وإن كنت أحلى في الطروس وأكرما
— ١١ —

الحافظ -- رحمه الله -- مذهب في الاحسان ، فهو يرى أنه ليس منة وفضلاً يفخر به ذووه ، وتلوه رؤوسهم وتشرف أقدارهم ، وإنما هو واجب على المثرى أن يؤديه ، وحق للفقير يجب أن يوفيه ، ودين لا يفر من قضاءه الا بمأطل ، ولا يهرب منه الا نذل دق . والاحسان في نظره يستطيع كل انسان أن يؤديه ؛ بالقول ١١ يخفف به الألم عن الشاكي ، ويشير به هم أولى العزم والمروءة والنجدة وبالسمع ١١ مشاركة المحزون فيما أحزنه ، والمهموم فيما أحفه وللصواب فيما أصابه

وبالمال ١١ الذي هو العون في قضاء السواحل ، والجالب للنفع ، والدافع للضر ، به نقضي الرغبات ويؤدي المطلوب قل في زلال إيطاليا :

سلام على الأولى أكل الله ؛ ب وناشت جوارح العفبان وسلام على امرئ جاد بالدم ح ، وثني بالأسفر الزان ذلك حق الانسان عند بني الا ؛ سان . لم أدعكم إلى احسان (البقية في العدد القادم) السيد محمد العجابه

كما قلت فاني أجل قراءة (الرسالة) بخاصة عن ذلك . فالرسالة في اعتقادي هي الصحيفة الأسبوعية الجدية الوحيدة التي ينبغي أن تطلع برسالة العلم - كما يُعبر اليوم - والأدب والفن ، وأرى أن قراءها كذلك يمتازون من قراء غيرها من الصحف . على أن الصحيفة الراقية هي التي ترفع قراءها إليها لا التي تنزل إليهم .

والآن آخذ في ذكر ملاحظاتي على مقالتي والرد عليها

وأبدأ أولاً بأخذك على قولي : ان الأخذ والتأثر بجريان إلى مدى واحد بقولك : (إن التأثر قد يكون سلبياً صرفاً ، ثم استنبهك لذلك بأن الوثنية العريضة قد أثرت في الاسلام في تحريم التصوير والنحت الخ ، والحق أيها الأديب أن تحريم التصوير ليس من موضوعنا في شيء ، وليس إلا من باب سد الذرائع وهي القاعدة المعمول بها في الاسلام ولا تزال أصلاً في مذهب مالك ؛ ومن أمثلة ذلك في الاسلام تحريم آلات اللهو سداً للذريعة في تعاطي الخمر ، وضرب الحجاب على المرأة سداً للذريعة في افتتان الرجل بها ، كالعكس إلى غير ذلك ، فلماذا أيها الأستاذ لا تجعل تلك من هذه ؟ ولا تكون في حاجة لتكلف هذا التأثر السلبى غير المفهوم ، اللهم إلا إذا كانت كنتأثر الشيء بضده في ظهوره ووضوحه عند المقابلة كالبياض مع السواد مثلاً فيكون هذا من باب : وبضدها تتبين الأشياء

ثم انى أخشى أن يمد ما قلته أيها الأستاذ خطوة في التهرب من الموضوع والتخلص منه ، ذلك لأن أصل البحث الذي نحن فيه أنه وجد في الفقه الرومانى تشابه مع الفقه الاسلامى فهم منه البعض وجود علاقة بين الفقهاء ، فادعى كوله زهير ومن قبله تأثر الفقه الاسلامى بالرومانى ، قلنا كما قال غيرنا أيضاً : ان الأخرى والأنهض بالدليل أن يكون الرومانى هو التأثر . هذا هو حاصل الموضوع ، فلو سلمنا صحة تقسيم التأثر إلى إيجابى وسلبى كما قالت أيها الأستاذ فما السلبى مما نحن فيه في قليل ولا كثير . وإذا كنت ترى تأثر الفقهاء بالفقه الرومانى إنما هو تأثر سلبى بهذا المعنى فقد لا يبق بيننا ما يستوجب النزاع والمناقشة

(٢) وقلت أيها الأستاذ عند قولي : إن الاسلام في ذاته جاء خارقاً لقاعدة البيئة والثقافة ، إذ قام به النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو النبي الأمى الذى نشأ أبعد الناس عن أن يطلع على قانون روماني أو حكمة منقولة ، وأتى بهذا الدين الأقدس

متناقضاً كل المناقضة لما عليه قومه . . . الخ . قلت : (إن هذا القول غريب من . . . لأنه لا يصح إلا على تقدير أن هذا الدين من صنيع الرسول نفسه وهو أمى . . . الخ فعمله ناقض لقاعدة البيئة والثقافة ، أما على أن الاسلام كما هو في حقيقته وحى إلهي فلا يستقيم هذا التمثيل مطلقاً في نقض قاعدة البيئة والثقافة الخ) فلو لا حسن ظني بسلامة نيتك أيها الأستاذ لمددت هذا منك مغالطة غير سائقة من مثلك ؛ ذلك لأنى لم أقل فيما كتبت إن الاسلام بظهوره بهذه الصفة ناقض لقاعدة البيئة والثقافة قط ، ولكنى قلت : إن الاسلام في ذاته خارق لها ، لأنه دين سماوى وحى إلهي لا تتحكم فيه بيئة ولا تؤثر عليه ثقافة ؛ على أن قولي خارق أخرى بأن يفهم منه اثبات قاعدة البيئة والثقافة ؛ لأن الخارق ما خرق العادة وخالف مقتضاها ، والغرض مما قلت بيان أن الاسلام في فقهه وعقائده وعباداته لا يتطرق إليه تأثير البيئة والثقافة ، لأنه في كل ذلك جاء خارقاً لقانونها ، ولم أقل قط إن الاسلام ناقض لقاعدة البيئة والثقافة كما فهمت أيها الأستاذ ، بل قلت : إنه خارق ؛ وفرق بين مدلولي اللفظين ، فليشهد القراء وليحكموا !

(٣) وقلت أيها الأستاذ عند قولي : إن الشريعة الاسلامية وجدت كاملة دفعة ، أو بعبارة أصح جاءت في زمن واحد . . الخ (إن هذه العبارة أوضح من أن تحتاج غالفها إلى دليل) . فلماذا أيها الأديب الفاضل ؟ فهل كنت تنكر أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لم يمت إلا وقد تركنا على المحجة البيضاء ، حتى ترى أن بعض الشريعة لم يوجد إلا بعد زمنه ؟ ألم يقل الله جل ذكره في كتابه العزيز : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي) ؟ ويقول ابن عباس والسدي في تفسيرها : إن الدين اليوم أكملت لكم حدودى وفرائضى وحلالى وحرامى بتزويل ما أنزلت وتبيين ما بينت لكم ، فلا زيادة في ذلك ولا نقصان منه بالنسخ بعد هذا اليوم ؟ حتى غالى بعض نقاء القياس فاحتج بها على إنكاره (٤) ثم ذكرت أيها الأستاذ قولي : وهياً لنا شريعة كاملة ، وقانوناً ربانياً منظماً يصلح لأن يطبق على أى جيل وعلى أية أمة ، ولم يزد فيه الفقهاء شيئاً قط إلا تصنيفه ونقله . . . الخ ، قلت : (إن هذا الكلام ليس أحسن حالاً من سابقه ، فالفقهاء قد فهموا وطبقوا واستنتجوا واستنبطوا . . الخ) ونحن لا ننكر

اختلاف الأفهام في الاستنباط أصالة، ولكننا نتكر لزوم أن يكون ذلك من آثار البيئة والثقافة، فاختلاف الأفهام جار حتى بين أبناء المدرسة الواحدة والبيئة الواحدة كما هو مشاهد، فلا يصاح دليلاً لتأثر الفقه الاسلامي بالفقه الروماني

(٧) واستطرت أيها الأستاذ الأديب تمثيل للصراحة بقولنا مثلاً لا تكذب قائلاً: «إن هذه المسألة على وضوحها الشديد على خلاف تمدني إلى كتب البلاغة» والكلام إنما هو تمثيل للصراحة لغة، وفرق بين رسوم الألفاظ وحدودها المنطقية وبين صرائح مؤدياتها اللغوية

ثم إنني لم أمثل بهذا إلا توضيحاً لكون الكلام العربي الصريح لا يختلف معناه على حسب الأزمان والبيئات؛ وبذلك على هذا قولي بعد ذلك: «وأرى أننا لو نقلنا خطبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع مثلاً ونشرناها اليوم لما فهم منها، أي إجمالاً، من يعرف مدلولات الكلام العربي من مثققي اليوم إلا ما فهمه عشرات الآلاف من المسلمين حينما خطبهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك الموقف الرهيب قبل ثلاثة عشر قرناً ونصف»

وهذه ميزة للغة الضاد يجب ذكرها على حين أنتم بمض اللغات سواها قد تغيرت وتطورت تطوراً كاد يحملها مقطوعة الصلة بينها وبين ماضيها قبل مائتي سنة

(٨) وأما استغرابك لقولنا إن أغلب النصوص الفقهية من السنة، فيذهب إذا علمت أن آيات الأحكام جاءت جلياً إن لم نقل كلها مفسرة موشحة بالسنة، فالسنة مع كونها مصدراً خاصاً لبعض الأحكام فهي في بعض واسطة بين الكتاب وبين الفقهاء في فهم آيات الأحكام، وبهذا تمل أغلبية الأدلة الفقهية التي من السنة وإن كان أغلبها في الحقيقة تفسير ما أجل الكتاب، وهذا معنى التبيين في قوله تعالى (وأرسلنا إليك الذكريات لتبين للناس ما نزل إليهم) الآية

(٩) ثم قلت أيها الفاضل مستدلاً على تأثر الأوزاعي بالفقه الروماني: (إن الرومانية حكمت الشام قطعاً، وكان ذلك الحكم لقرون كثيرة قطعاً، وكانت الدولة الرومانية وحكمها الشام قبل الاسلام قطعاً... ثم قلت وكان الاسلام هو الذي خلف على ذلك بلا شك، وكان لهذا على طول الزمن أثره الذي يختلف به

هذا، وعبارتي لا تعيد نفيه إذ لست ظاهرياً، وقد شاء قلبك أيها الأديب أن يقتضب من عبارتي ما شاء فقط، وإلا ففي آخر الفقرة بيان المراد، فقد قلت في آخرها لهم (أعني الفقهاء) فيما لم يجدوا فيه نصاً صريحاً يطبقونه على قواعد الأساسية، وهذا هو معنى الفهم والاستنباط، ولا يقال له زيادة ولا تعارض في العبارة، لأن المراد بما لم يزد فيه الفقهاء شيئاً أصوله وقواعده الأساسية، وهي التي لم يلحق المشرع الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بالرفيق الأعلى إلا وقد تركنا معها على سبيل واضح وقانون رباني منظم وشريعة كاملة، فيحسن أن نقول هنا إننا والأستاذ الفاضل على خطة اتفاق

(٥) وقلت أيها الأستاذ إن قولي (... والنصوص الفقهية كلها صريحة بينة الأغراض واضحة المرامي، يناقضه قولي في القرآن: على أن الاختلاف في تفسيره ليس إلا لا يجازه المعجز مع بعد مرامي الغيبية، وقلت: (إن هذا الایجاز المعجز لم يفت آيات الأحكام كذلك وبعد المرامي يشملها. وجوابي عليك أن آيات الأحكام قد جاءت مفسرة بالسنة إلا ما ندر منها كآية الربا، فلم يبق مجال للاختلاف فيها أوضحه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كما يمكن أن يكون في غيره مما لم يفسر بالسنة، وبهذا يتضح الفرق بين أدلة الأحكام والتفسير المختلف فيه، ويصح به لنا القول بالألّا يقاس بالفقه التفسير، وحسبك دليلاً على الفرق بين فهم الكتاب وفهم السنة ما صنع الإمام على كرم الله وجهه عند إرساله ابن عباس رضي الله عنهما لجدال الخوارج، إذ أمره أن يتوخى جدالهم بالسنة حرصاً على ألا يخطئوا في فهم القرآن وتأويله؛ وما ذاك إلا لما ذكرنا

(٦) وتقول أيها الأستاذ (وإذا كانت النصوص صريحة بينة الأغراض فقيم مختلف فقهاء للذاهب الكثيرة المتعددة الخ) وأقول لك إن سبب الخلاف بين فقهاء الذاهب ليس اختلاف البيئة والثقافة مع غموض الأدلة، ولكن السبب الأكبر هو اختلاف علمهم بالأدلة أولاً، ثم تفاوت مراتبها عند فهم قوة وضعفها، وقد كانت السنة آتخذ تتاق من أفواه الشيوخ. وقد يبلغ الفقيه حديث لم يبلغ الآخر، أو يكون هذا سمعاً بطريق أقوى من طريق الآخر، وهذا عندى السبب الأكبر في اختلاف الفقهاء. ولذلك قال الشافعي إذا صح الحديث فهو مذهبي. ونحن لا نتكر

عاية ما في الأمر أني قلت إنه واجب ، وواجبات الاسلام بامولاي الأستاذ أكثر من أن تكون ستاً أو ضمتها ، فإذا ضمت اليها الواجبات الاعتقادية والأعمال والتروك صارت أكثر من أن تحصر ! فبأي منطق استنتجت من قولي ما لم أقله ، وأزيني على هذا القول بأن أصول الاسلام ستة ؟ ولا يفوتني هنا أن أقول لك أيها الأستاذ إن أدبك الجم قد سمح لك أن تصحني بأن أعدل رأيي في هذه الأشياء قبل أن أهتم بمسألة الفقه الروماني وأتخذ أصوله من الفقه الاسلامي أو تأثر الفقه الاسلامي فنتلك مسائل متأخرة ، ولكنني هنا لم بطاوعني أدبي معك — مهما كان بالنسبة إلى أدبك — أن أقول لك مقال الناصح الشفيق إنه يحسن أن تصلح منطقك أولاً قبل التمرض لتطبيقه على مثل هذه الأمور

وفي الختام أقول لك إنه ليس من الخير أن يتذرع الكاتب للتغلب على مناظره بتحقيده أو منالطته ، واعتقد أنك أعلم بأدب الحوار والمناقشة من أن أنبهك اليه والسلام عليك
صالح بن علي الطاهر العائري
سنيافورة



الشام عن الحجاز مثلاً ، ولا بد والأوزاعي ابن هذه البيئة الحديثة العهد بهذه الحال الرومانية فلتلك البيئة وهاتيك الثقافة أثرهما المحتوم في تكوين الأوزاعي الخ . فلرسلنا جدلاً بصلاحيية الفقه الاسلامي وقبوله للتأثر بالبيئة والثقافة كما تعتقد أيها الأستاذ الفاضل ، فالشام لم يفتح في عهد الأوزاعي ولكنه فتح في عهد عمر رضي الله عنه ، والأوزاعي — وهو من تابعي التابعين ، ومن الطبقة السابعة من الرواة ، ومن أهل القرن الثاني — لم يأت إلا وقد انصرم ، أو كاد ينصرم بعدد سيوخ الاسلام في الشام جيل كامل . ثم إن الاسلام من شأنه أنه لم يفتح بلاداً وتطأها أقدام جنوده الأبطال إلا ويقتل اليها معه حضارته وآدابه وأحكامه ، وأصرح من ذلك أن أقول إن الاسلام لم يفتح البلاد ويتولى الشعوب إلا لينسخ أدياناً ويقر مكانها ديناً واحداً ، ويهدم قرائن ويدين بها قانوناً جديداً مفرداً ، ويبحث حضارات ويغرس محلها حضارة واحدة ؛ فالاسلام لم يفتح أرضاً ولم يحكم شعباً إلا ليؤثر فيه — بامولاي الأستاذ — لا ليتأثر به

وقد تولى الاسلام الشام منذ عهد الخليفة الثاني وأصبح عليه من روحه وثقافته وتعاليمه حتى غداً إسلامياً صبةً وروحاً ، ومضى على ذلك زمن ، ولم يأت الأوزاعي إلا والشام في دينه وروحه وثقافته إسلامي صرف ، ولم يبق به من ثقافة الرومان عين ولا أثر . فالأوزاعي وليد بيئة إسلامية وثقافة إسلامية ، قد سرب الثقافة الرومانية اليه بعد أن اندثرت وسحب الدهر عليها ذيل النسيان وحل محلها ماهر خير ثقافة وأعدل حكماً — من البعد بحيث لا يستسيغه عقل الثنيت الحازم

(١٠) والعجيب أيها الأستاذ الفاضل أنك في آخر ردك على مقالتي قلت لا أدع منه عبارة ختامية تلك هي . . . إن الفقه الروماني جديد لفقه جماعة من العلماء وتحقق أنهم أخذوه من الفقه الاسلامي ، وهذا ما يجب ألا يعتقد خلافه كل مسلم ، قائلاً بل أقول . . . لنا في شيء من الطلبة بهذه العقيدة في الفقه الروماني ، فليست أصول الاسلام ستة ، تلك الحقبة المعروفة ثم سرقة الفقه الروماني من الفقه الاسلامي الخ)

ولا أدري ماذا أردت بأصول الاسلام الحقبة ؟ فإن كنت تريد بها أركانها التي أولها الشهادتان وآخرها الحج ، فالاستنتاج عجيب ، لأنني لم أقل إن هذا الاعتقاد ركن من أركان الاسلام ، بل

نهر النيل

كما ذكره العلامة ابن خلدون في مقدمته

بقلم رشوان أحمد صادق

جاء ذكر النيل في كثير من المؤلفات العربية التي وضعها جغرافيو العرب من أمثال الإدريسي وياقوت الحموي والاصطخري وابن سعيد الجلباني وغيرهم كثير . على أن ابن خلدون وصف هذا النهر وصفاً بديعاً في مقدمته المشهورة

وقبل أن نتحدث عن مقال ابن خلدون عن نهر النيل يحسن بنا أن نذكر الحقائق الآتية :

أولاً : اطلع ابن خلدون على أبحاث من سبقه إلى هذا الموضوع وحاول أن يوفق بينها وبين ما سمعه من الأحاديث المختلفة عن نهر النيل

ثانياً : لم يذهب ابن خلدون إلى أعلى النيل ولكنه ربما زار بعض أجزاء النهر السفلى مثل الأراضي المصرية ثالثاً : إن ابن خلدون قد وصف بعض أجزاء نهر النيل بدقة جعلت الكثير من العلماء يهتم برسالة هذا الرجل الفيلسوف

رابعاً : إن العهد الذي كتب فيه ابن خلدون كان عهد اجتهد من حيث البحث عن منابع النيل ، إذ كانت مسألة النيل من الأمور الغامضة ، ولم تتح الفرص لفك لغزه أو الحصول على معلومات حقيقية عنه مبنية على أبحاث دقيقة إلا بعد أن وطد عهد على الأمن في أعلى النيل ، وبذلك سهلت مهمة من قام بهذا العمل

والآن نذكر أقوال ابن خلدون عن نهر النيل ثم نعقب عليها

قال : « فأما النيل فمبتدؤه من جبل عظيم وراء خط الاستواء بست عشرة درجة على سمت الجزء الرابع من الأقليم الأول ويسمى جبل القمر ولا يعلم في الأرض جبل أعلى منه . تخرج

منه عيون كثيرة فيصب بمضها في بحيرة هناك وبمضها في أخرى ، ثم تخرج أنهار من البحيرتين فتصب كلها في بحيرة واحدة عند خط الاستواء على عشر مراحل من الجبل ، وتخرج من هذه البحيرة نهران يذهب أحدهما إلى ناحية الشمال على سمتة ويعبر ببلاد النوبة ثم بلاد مصر ، فإذا جاوزها تشعب في شعب متفاربة يسمى كل واحد منها خليجاً وتصب كلها في البحر الرومي عند الاسكندرية ، ويسمى نيل مصر وعليه الصيد من شرقه والولحات من غربيه . ويذهب الآخر منطلقاً إلى المغرب ثم يمر على سمتة إلى أن يصب في البحر المحيط وهو نهر السودان وأسمهم كلهم على صفتيه »

من ذلك يتبين إلى أي حد كانت معلومات ابن خلدون عن هذا النهر . أما عن أعلى النهر فمعلوماته قاصرة على السماع وعلى ما وصل إلى علمه من كتب من سبقه إلى ذلك الموضوع . وعلى الأخص كتاب بطليموس الذي ذكر ذلك بوضوح ونقل عنه الإدريسي وغيره . ولكن في كلام ابن خلدون مسألة مهمة ألا وهي ذلك النهر الذي يتجه غرباً ويصب في البحر المحيط ما هو ذلك النهر الغربي ؟

أكان ابن خلدون متأزراً بالآراء القديمة من أمثال رأي هيرودوت الذي يقول بأن النيل يتجه غرباً إلى المحيط ؟ أم كانت عنده معلومات عن نهر السكنفو وخن أنه يتصل بالنيل كما كانت هذه الفكرة سائدة إلى زمن ليس بعيد ؟ أم كان يعرف نهر النيجر وخن أنه فرع من النيل لقرب منابع بعض نهريته من منابع بعض نهيرات حوض تشاد القريبة من منابع بعض نهيرات النيل ؟

ولكي نوضح هذه المسألة نقول : إن ابن خلدون ربما كان يقصد أحد هذه الآراء الثلاثة الآتية :

١ - يقول ابن خلدون إن هناك نهيرات تتبع من جبل القمر ثم تصب في بحيرتين ، ثم تخرج أنهار من البحيرتين فتصب كلها في بحيرة واحدة عند خط الاستواء ، وتخرج من هذه البحيرة نهران يتجه أحدهما نحو الشمال والآخر نحو المغرب وتصب في المحيط

لعله كان يقصد بحيرة فكتوريا وبحيرة إدورد ، وأن البحيرة

الثالثة هي بحيرة البرت ، والنهر يتجه شمالاً هو بحر الحبل والتجه غرباً هو الكنفو

والقاعدة في هذا الفرض أن المنطقة بين النيل والكنفو غير محدودة تماماً ، كذلك ليست شديدة الارتفاع ، وفي زمن الأمطار الشديدة قد تكون هذه المنطقة عبارة عن شبكة من المجاري المائية التي يصبح من المتعذر تتبعها خصوصاً وأن تلك الجهات كانت غير معروفة تماماً ، وأن المعلومات عنها كانت منقولة عن التجار العرب والزنج

فإن كان ابن خلدون يقصد ذلك - وهو الأرجح - فذلك دليل على ذكاء ذلك الرجل الفيلسوف والعالم المحقق ولقد ظلت فكرة اتصال النيل بالكنفو زمناً طويلاً في عالم الوجود قبل أن يكشف تماماً عن نهر الكنفو

٢ - أما عن الرأي الثاني فنقول إن ابن خلدون ربما قصد بالبحيرة الثالثة منخفض بحر الغزال (بحيرة نو واقليم السودان ومنخفض بحر الغزال) . فالواقع أننا عندما نتتبع هذه المنطقة على الخريطة قد لا تتبين تماماً مقدار عظمها ، ولكن إذا ما اطلنا على مذكرات بعض التجار الذين قطعوا هذه المسافات من أمثال الزبير بلشأ تتبين تماماً أن هذه المنطقة تظهر لأول وهلة كأنها مستنقع عظيم السعة . فلقد ذكر الزبير باشا في مذكراته أنه سَلَ الطريق وسط هذا المستنقع اثني عشر يوماً حتى كاد يشرف على الهلاك

فربما كان ابن خلدون يقصد بالبحيرة الثالثة هذا المستنقع العظيم . وإن النهر الذي يتجه غرباً هو بحر العرب ورواقده . وربما وصلته أخبار عن النيجر وحوض تشاد فكان أن بحر العرب يتصل ببحيرة تشاد وهذه الأخيرة تتصل بالنيجر إلى (البحر) المحيط

ولقد كان يظن أن النيل يتصل بنهيرات بحيرة تشاد وهذه تتصل بأعلى النيجر ، وبقيت تلك الفكرة سائدة إلى أن ذهبت البثة الفرنسية وطافت حول بحيرة تشاد وأثبتت أن حوض تشاد منفصل عن النيل وعن النيجر تماماً

وربما كانت تلك الفكرة بسيدة عن ذهن ابن خلدون ، ومنع ذلك لا مانع من ذكرها خصوصاً وإن فكرة اتجاه

النيل غرباً كانت سائدة في قديم الأزمنة

٣ - أما عن الرأي الثالث فربما قصد ابن خلدون بالبحيرة الأولى ، بحيرة رودلف ، وظن أن نهر أومو الذي يتصل بها متصل بنهر أوكوبو أحد أفرع السوايط ، وأن البحيرة الثانية هي فكتوريا ، والبحيرة الثالثة هي نو (ومنخفض بحر الغزال واقليم السودان) ، وأن النهر الغربي هو بحر العرب ويتصل بحوض تشاد ، ثم حوض تشاد يتصل بحوض النيجر ، ثم ينصرف الأخير إلى المحيط كما سبق أن بينت ذلك في الرأي السابق

وبما جئنا نحتمل وجود هذا الرأي على الرغم من ضعفه هو قرب بحيرة رودلف من ساحل أفريقية الشرق ، إذ أنه معروف أن التجارة كانت تنقل من أعالي النيل إلى ساحل أفريقية الشرق حيث يمكن تبادلها مع سكان الساحل الاسيوي المقابل لساحل أفريقية الشرق ، وكانت الأخبار تنقل مع التجار العرب أو الزنج ، ومن ضمن هذه الأخبار المعلومات المختلفة من منابع النيل واقليم البحيرات

ولما كانت بحيرة رودلف قريبة من ساحل أفريقية الشرق فلا يبعد على الظن أن تكون ذكرت كنسب للنيل ولعل تلك الفروض كانت راجعة إلى عدم معرفة هذه الجهات بالدقة أيام أن كتب ابن خلدون رسالته ، وإن كل ما ذكر عنها كان عن طريق النقل والسمع الذي لا يخلو من المبالغة والخطأ ، زد على ذلك قلة المعدات العلمية وآلات القياس المختلفة بعكس ما نحن عليه الآن من تقدم

والآن ندخل في التفاصيل التي ذكرها الفيلسوف ابن خلدون عن بقية نهر النيل

قال يصف البحيرة الثالثة : « في أسفلها جبل مقترض يشق البحيرة من ناحية الشمال ويقسم ماءها إلى قسمين فيمر الغربي منه إلى بلاد السودان مغرباً حتى يصب في البحر المحيط » وفي ذلك إشارة إلى خط تقسيم المياه بين النيل والكنفو ، ونرجح ذلك إذا ما علمنا أن شاطئ بحيرة البرت من الجهة الغربية تحف به الجبال ، ثم خلف هذه المرتفعات أي في الجهة الغربية منها توجد المجاري المائية التي تعد نهيرات الكنفو ، فلا يبعد على الظن أن يكون ابن خلدون قد اعتبر منابع الكنفو

وراء هذه الجبال الناحية لشاطىء بحيرة البرت الغربى جزءاً متما
لهذه البحيرة خصوصاً وهذه المنطقة محتوية على عدد عظيم من
النهرات ، فعلى عبارة عن شبكة مائية يصعب تحديدها خصوصاً
فى أوقات الأمطار الشديدة والفيضانات حيث تظهر كمتسع عظيم
من المياه

وربما قصد ابن خلدون بهذه المرتفعات مرتفعات دارفور
التي تفصل مياه وادى الكوه ووادى جندى المتصلين بحجر
العرب عن وادى بحر السلامات المتصل بنهر شادى المتصل
ببحيرة تشاد

وربما قصد بهذه المرتفعات مرتفعات بندا التي تفصل بين
مياه بحر النزال من جهة ونهر شادى المتصل ببحيرة تشاد من
جهة أخرى . إذ أن نهري الجبل والنزال يكونان حوضاً منخفضاً
فى الوسط وحافته مرتفعة ، وما ارتفاع الجهات التي تفصل حوض
النزال عن حوض تشاد إلا لمبوط الانخفاضات المجاورة التي فيها
بحر النزال وحوض تشاد

أما عن بقية نهر النيل فقد قال ابن خلدون : « ويخرج
الشرق منه ذاهباً إلى الشمال على بلاد الحبشة والنوبة وفيما بينهما .
وينقسم فى أعلى أرض مصر فيصب ثلاثة من جداوله فى البحر
الرومى عند الأسكندرية ورشيد ودمياط ، ويصب واحد فى بحيرة
ملحة قبل أن يتصل بالبحر فى وسط هذا الأقليم »

وفى ذلك إشارة إلى فروع النيل وتغيرها فى عهد العرب
وما بعده عما كانت عليه فى عهد البطالسة ، فقد زالت المصببات
الشرقية كلها تقريباً

ويقول أيضاً « وعلى هذا النيل بلاد النوبة والحبشة وبعض
بلاد الواحات إلى أسوان ، وحاضرة بلاد النوبة مدينة دنقلة وهى
فى غربى هذا النيل ، وبمدها علوه وبلاق ، وبمدها جبل الجنادل
على ست مراحل من بلاق فى الشمال ، وهو جبل عال من جهة مصر
ومنخفض من جهة النوبة فينفذ فيه النيل ويصب فى سهوى بميد
صباً سهولاً فلا يمكن أن تسلكه الراكب بل يحول الوسنى من
مراكب السودان فيحمل على الظهر إلى بلد أسوان قاعدة الصعيد ،
وكذا وسن مراكب الصعيد إلى فوق الجنادل ، وبين الجنادل
وأسوان اثنتا عشرة مرحلة ، والواحات فى غربها عدوة النيل وهى

الآن خراب وبها آثار العارة القديمة »

وفى ذلك إشارة صريحة إلى الشلالات التي تمرض النيل
قبيل أسوان والتي تكون بمثابة عقبة ، إذ نجد الانحدار شديداً .
ويظهر أن المنطقة التي يصفها ابن خلدون هى المنطقة المسماة الآن
شلال حلفا ، وتبدأ بعد سراسن ، ومن بعدها بقليل نجد شلالات
جيمى وابكة وطولها مائة أكثر من ١٦ ل . ٢ ، وينحدر عنها
النيل انحداراً شديداً . وهذه الجنادل هى التي يطلق عليها عادة شلال
حلفا وهى كثيرها من الشلالات السابق ذكرها يرجع تكوينها
إلى اعتراض الصخور البلورية الشديدة الصلابة فى مجرى النهر
وتتكون منها الجزر

وأما عن لفظ (واحات) فربما قصد بذلك بقايا المدن الأثرية
التي قامت على أنقاضها المدن الحديثة ، أو ربما أطلق هذا اللفظ
على البلاد الموجودة فى هذه المنطقة الجبلية والتي تعتمد على الآبار
بعدها عن النيل

أما عن قوله إن الحبشة على النيل فربما قصد بذلك الفرع
الذى يأتى من بلاد الحبشة وهو الأرجح ، إذ يقول : « بلاد الحبشة
على واد يأتى من وراء خط الاستواء ذاهباً إلى أرض النوبة
فيصب هناك فى النيل الهابط إلى مصر » . ويقول « وقد وهم
فيه كثير من الناس وزعموا أنه من نيل القمر ، وبطليموس ذكره
فى كتاب الجغرافيا وذكر أنه ليس من هذا النيل »

وهذه إشارة إلى أنه لم يكن يعرف هضبة الحبشة ولا منابع
النيل الأزرق . على أنه يتفق مع بطليموس فى أنه ينبع من جهات
غير منابع النيل فى جبل القمر . وهذه المسألة مدعشة ، إذ أن
النيل الأزرق كان معروفاً منذ أيام إراتستين ، وأن هضبة الحبشة
كانت مجاورة لبلاد اليمن وذات حضارة ، فكيف لم يعلم شيئاً عن
منابع النيل الأزرق بينما رسم كل من بطليموس والأدريسي
بحيرة تسانا ؟

ثم ذكر المحيط الهندى والبحر الأحمر والخليج الفارسى ،
وقال عنهما : البحران الهابطان ، ثم ذكر بوظاير باب السند
والمنطقة المروقة الآن باسم الارتريا ، ثم تكلم عن التجارة بين
اليمن والسويس ، وذكر سواكن ، وتكلم عن الواحات الداخلة
وعين مكانها ، وذكر النيل فى المنطقة بين المقطم (وجبل الواحات)

في أوطانهم غرباء

للشاعر الفيلسوف جميل صدقي الزهاوي

تلك أخلاقهم وقد ورثتها سنناً من آباؤها الأبناء
ليس هذا في يومنا وحده جا رِ وعلّ الأيام طراً سواء
إنما دنيانا لقوم جسيم ولا قوام جنة غناء

ولقد أفر الألى قرضوا الشء ر نفوس لم بها كبرياء
واجتناب الرياء منهم بمصر شاع من أجل العيش فيه الرياء
شراء العراق كل سنينهم سنة فيها تخلف الأنواء
اننى أطلب العزاء لنفسى فى أساهها، وأين منى العزاء؟
لطف نفسى على القريض فقد هب ت عليه تشله التكباء
عبثت فى الربيع بالروض حتى ملأته من زهره الاشلاء
وإذا الورد فى الربيع تولى فلى ذلك الربيع العفاء
جفت الدوحة التى كل صبح فوقها كانت تهتف الورقاء
وعلى الزهر قد تصوح عندى زفرة تصطلى بها الاحشاء
بسمت فى ربيعها لذكاء كلما أشرقت عليها ذكاء
أيها الليل الذى يتغنى لا يسمك الموان هذا الغناء

أيها الشعر أنت أشجى أنين زعته من نفسها الحوباء
أنت فى اصماع الأشايب موسي قواى أعين الشباب ضياء
وإذا كنت الدهر للشعر أظري فقليل منى له الاطراء
وكان السماء ديوان شعر بعض أياته النجوم الوضاء
وكان الجبر والليل صاف كدسوعى قصيدة عصماء
لم يكن بالشعر الغرام قليلاً غير أن العراق منه خلاه
أحسن الشعر ما بنته على ما شعت فى حياتها الشعراء
غير أن التقليد فيه كثير وقليل على الشعور البناء
وأجل القريض ما استحسنت حين يتلى العقول والاهواء
ونصيب الكثير منه يواز ونصيب القليل منه البقاء

جميل صدقي الزهاوي

(بغداد)

إنما فى بلادنا الشعراء فئة فى أوطانهم غرباء
لا رخاء ولا أمان ولا ما ل ولا عزة ولا سراء
ألن يكذبون ذلك التلى (١) ولن يصدقون هذا الشقاء؟
ما جروح تدعى الجلود بها ما لجروح تدعى بها الاحشاء
ما شكوا أعباء الحياة وإن كانت ثقلاً عليهم الأعباء
وإذا دافوا عن الحق جبراً فهناك الريلات والارزاء
لم أجد للجمهور عطفاً عليهم وكانت الجمهور منهم برءاء
انهم لا يرون من قومهم برءاء ولا تقديرآ وهم احباء
وإذا ما لقوا الردى فليهم يكثُر الحزن منهم والبكاء

(١) الاستماع

وذكر بلدة ابننا وأرمنت وأسيوط وقوص وصول، وقال عند
الأخيرة يتفرع النهر إلى فرعين : فرع يذهب إلى اللاهون
ويقصد بذلك بحر يوسف، ثم ذكر عيذاب

من ذلك يتبين لنا أن معلومات ابن خلدون عن نهر النيل
كانت مستمدة من كتابات من سبقوه إلى هذا الموضوع ومن
الرواة كذلك، ولكن يجب أن نترف بأن ذكاء هذا الرجل
ومقدرته العلمية جعلاه يضع هذه المعلومات فى قالب يقبل العقل
الجزء الأكبر منه . فلقد ذكر بعض الجهات وعلل وجودها
أحسن من غيره بكثير، ومع ذلك فإن له عذره، إذ أن السياحة إلى
مثل تلك الجهات كانت من الصعوبة بمكان، ولم يكن هناك آلات
دقيقة ولا معدات علمية تساعد على ضبط الأماكن بالدقة، زد على
ذلك فقد الأمن فى تلك الجهات وصعوبة ارتيادها، ومع ذلك
فإن كتابات ابن خلدون جاءت معتدلة خالية من القصص
الخرافية بعيدة عن المبالغة والخلط بين المعلومات والمعتقدات ؟

رثرانه أحمد صادق

B. A فى الجغرافيا

المساء

بقلم أجد الطرابلسي

هو ذا الليل قد أطل من الأفق
جاء يختال في غلائله السور
فتولت ذكاه جازعة النور
بسطت الوداع أي شعاع
ما ترى الأفق قد تورّد حزناً
كان ساح الوغى وقد ظمّر اللّـه
وتولّى النهار، أي طمين
سأتمّ الشمس هكذا الكون بقى
إن غدا الليل طافراً فكذا النور
هكذا يظفر الظلام ويخبو
هكذا سنة الحياة غلاب
وأطل الراعي بنوح على الشـ
هبط القرية الحزينة يبكي
أكذاك الأكواح يغمرها العـ
أكذاك الطيور تندب شجواً
أين سهل يمج في لجج النور
أين لحن الحياة تئنّده القر
فبكي واقطع بين يديه
ومشى في الظلام يبكي على النور
بصرخ النأي في يديه فبكي
هي أنشودة الوداع يئنّ
هي أنات شاعر عبقرى
أيّ هذا المساء فيك من المـ
المعاه الدجى مثلك رجب
هكذا تنطق الحياة ويغشا
هكذا تسكن الأمانى للنور
وتفترس الركاب في شبح الزم

ويضع الضجيج في المدام القـ
نامت القرية الحزينة إلا
لبناء بين الأضالع قـ
ظل سهران يرقب الأنجم الزـ
علقت عينه السماء ذهولا
في فجاج السماء عرس بهي
فهناك النجوم تطفح بشراً
زغردت في السماء أنجمها القر
وتبدت تحتال عجبا كما نـ
هكذا تضحك السماء من الأر
إيه يا ليل زف فوق خليـ
وانثر الحلم والطيوف لصـ
لست يا ليل للذي ألف الشـ
أنا يا ليل ليس لي من سكـ
حب قلبي ظلامه ودجاء
لي لبّان ساهران وغيرى
أنا أحيا الحياة ليلا طويلا
إطوي يا ليل هذه الشجف السـ
كم قلوب وجيئة ونفوس
يا إلهي ستمت هنى الدجى
أنا كهف هدم مستباح
يصنر التـ في دجاء كما تـ
أقطع الليل ساهراً ذاهل الفـ
غارقاً في هواجس وذهولى
شاقى النور يا إلهي ولكن
شاقى الشدو والبناء ولكن
... ..
للضياء الحبيب يا نفس في الأر
لا يرعك الظلام إن بلا السـ

دع

ر وتمنى معالم ودروب
ساهراً نومه الهوى سلب
وتلفاقه الملح وجيب
هر تهادى كما تهادى حبيب
واستباه هذا الفتون العجيب
وعلى الأرض مأتم وكروب
وهنا الليل حال كغريب
حي وغنى بعيدها والقريب
تال بين الشفوف خرد لعوب
ض كما يضحك الخلي الطروب
لم نورقه لوعة وخطوب
لم ينفص نعيته تعذيب
د كما يلف الغريب الغريب
سكون أو هدأة الظلام نصيب
وأساء للبرح الشبوب
ليه بارسم الطيوف خصب
أفصقوا لي الدجى ويطيب؟
د فكم تحت جنتها مكروب
تحت هذا الدجى تكاد توب
إن في القلب ظلمة لا تـ
فيه للحزن والشكوك نـ
فر في الليل شال وجنوب
ر وفي الصدر للهوم شوب
وعلى العين للشهاد رقيب
أين مني السنا وأين الهيب؟
أين مني اللحن والتطريب؟
... ..
ض مغيب وللحياة مغيب
ن فإن الصباح سوف يؤوب
أجد الطرابلسي

ما يحتويه قانون العقوبات الألماني الجديد

نظريات جديدة

في فهم العقوبة والمجتمع

كانت الحكومة الألمانية قد انتدبت منذ حين لجنة من كبار الشترعين (المختبرين) لبحث مبادئ العقوبة الجنائية التي يجب أن تتمشى مع مبادئ الثورة الاشتراكية الوطية ومبادئ حزب (النازي)؛ وفي الأنباء الأخيرة أن التعديلات الجديدة لقانون العقوبات الألماني قد صدرت متضمنة لمبادئ جديدة عجبية في تعريف الجريمة وتحديد معنى العقوبة الجنائية لم يسمع بها من قبل في أي بلد متحضرين. وقد قرأنا في هذا الموضوع مقالاً قلماً لكاتب فرنسي كبير، قرأنا أن ترجمه لقراء (الرسالة) فيما يلي: يقول زعماء الأبراطورية الألمانية الثالثة (الزعماء المختبريون) إن قانون العقوبات هو «مرآة صادقة للروح القوي»

ونحن في فرنسا نتأثر منذ قرون بالقانون الروماني القديم الذي اشتقت منه ثورة سنة ١٧٨٩ (الثورة الفرنسية) مبادئه الجهورية، ولكن المختبرين يرفضون هذه المبادئ بأشهرزاز، ويقولون ما معنى هذا الاجلال الخالد لقصاصات من الورق؟ إن التعلق بحرفية النصوص يتم من ذهنية متأخرة وضيقة. والقانون يقوم على حقيقة حية هي «ضمير الشعب»، ولا غاية لقانون العقوبات إلا أن يحمي هذا الضمير

ونحن في بلادنا ذات البدأ الانفرادي، نقدر ذلك البدأ الأساسي العظيم: «لا عقوبة بغير نص» Nulla poena sine lege ولكن الشترعين الألمان الجدد يقولون: إنه لا يوجد قانون في العالم يمكن أن يتحوط بنصوصه العقابية لكل الأعمال البشرية الممكنة، وإذن يجب على قضائنا أن يماقبوا أيضاً على الأعمال التي لم ترد في القانون «متى كانت تثير الرأي السليم للترن للمجتمع» وكذلك نبذ الشترعون النازيون مبدأ أساسياً آخر هو «علم رجمية القوانين» (أو علم سرانها على الماضي)، وعلى هذا فان محكمة لا يبرج العليا قد حكمت بالاعدام على فان دولوب مع أنه في الوقت الذي وقع فيه حريق الرمححتاج لم يكن القانون يماقب

على هذه الجريمة إلا بالاشغال الشاقة. وإذا كنا نحن نرى من المثير أن نطبق على المجرم قانوناً كان يستحيل عليه أن يعرفه، فان الشترع الألماني يقول إنه يجب عليه (أي المجرم) أن يعرف إلى أي حد يمكن أن يثير بعمله السخط العام

ونحن من جانبنا يصعب علينا أن نعترف بقانون عقوبات لا يعترف «بالحرية الفردية»، فانه إذا عدت هذه الحريات أخشى المشرع حكماً شمساً لا غير. وهذا ما حدا برجل مثل رامون فرنانديز أن يقول إن صوغ القانون الشيوعي الجديد، والقانون الفاشستي الجديد «لا يتميز فقط بسحق القانون القديم، وإنما يتميز بسحق الحقوق جميعاً»؛ بيد أنه يجب أن نعترف على رغم اشهرازنا بأن المختبرين يقومون بتحويل الحقوق. ذلك أن الشعب هو الذي يرفعونه فوق كل شيء؛ والشعب، لا الفرد، هو الذي يريدون حمايته بأدي ذي بدء؛ وهو تحويل في القيمة يتمشى مع استبدال المبادئ الحرة القديمة «بمجتمع دولة علم»

ومن مبادئنا أننا نريد أن تحدث القوانين والظروف دائماً أثرها لصالح الفرد، فإذا عدل قانون، فالتنا نطبق عليه أخف النصوص؛ فإذا تطرق الشك إلى ذهن القاضي وجب عليه أن يحكم بالبراءة؛ وكل منهم يعتبر بريئاً حتى يفصل في قضيته، وهذه كلها مبادئ يحتمها المختبريون

فهم يصيرون: أليس فظيماً أن نضع المجرم في ذروة قانون العقوبات؟ وأن نمكف بشغف على درس نفسيته باسم الدفاع عنه؟ لقد انحدر علماء الجنائيات في الأمم الديمقراطية إلى هذا الدرك، أعني إلى درك «الحق الزائف» أو «الحق المدوم»

والواقع أن ميولنا الفردية تمنح إلى التساهل مع المجرم؛ ففي حلالنا البواعث التي دفعت المجرم إلى ارتكاب جرمه، فقد فهمناها، وعندئذ تنطف على المجرم معاف الانسان على الانسان، بل لقد انتهى مشرعونا الجنائيون شيئاً فشيئاً لا إلى تعديد العقوبة، ولكن إلى حب الإصلاح

وهذه حالة ذهنية لا يسيتها مشرعو الامبراطورية الألمانية الثالثة؛ فهم يرفضون، لا أن يحكم على بريء - ولكن أن يفلت مجرم من العقاب. وإذا القضاء لم يقدم ترضية كافية لسخط الشعب العادل حينما يطالب بالعقوبة، فان النظام الاجتماعي يندو في خطر، وتسرى إلى الشعب عوامل الهياج العام

فإن القانون يعترف بأجراء المباشرة بين المتخاصمين
ويكشف لنا الشرعون المتكلمون عن غايته النهائية فيما يأتي :
ليس المجتمع هو الذي يكون غاية في ذاته ، ولكنه الجنس أو
الأمة ؛ والعمل لعظمتها يجب أن يكون هو غاية الحياة لكل فرد
إن النزعة الفردية وحدها هي التي تدفع الفرد إلى حب
الإنسانية . ولكن المتكلمين باعتمادهم على القيم الاجتماعية ،
يجتنبون إلى أم عناصرها ، أعني « القومية »

وعلى هذا فإن قانون العقوبات عندما يقرر صنفاً جديدة
للجرائم ؛ فمثلاً يصير « خائناً للوطن » من يجرح الاشتراكيين
الوطنيين في عزتهم ، أو يهزأ باحتفالهم ، أو يسخر من أغنياتهم ،
أو من بنوهم بأعمالهم الحمجية ؛ وكذلك من يقتص من اقدار
الأبطال الماضين ، أو من يهين المحاربين القدماء . وهكذا نقلت
الحماية الشرعية لشخص الانسان إلى حماية الحزب وإلى حماية الأمة
ثم إن الأمة عندما تقوم على الجنس ، ويجب أن يحتفظ الدم
النسلي القديم بتفائه وتفوقه . وعلى هذا فإنه ترتكب جريمة
« خيانة الجنس » كلما امتزج الألماني (أو الألمانية) باليهود أو
بالأجناس الملونة . أو لذا امتزج ملكاً برنجي وجرح بذلك « الماطفة »
الجنسية . لأمته . ويعاقب الرنجي بعقاب أشد لاعتباره انساناً
منحطاً

ونحن نعرف أن المتكلمين أسدروا في العلم الماضي قانوناً
للتجارة ينظم العلاقات بين المال وبين أصحاب الأعمال على أسس
جديدة . وقانون العقوبات الجديد يتأثر بهذه الأسس ؛ إذا قصدوا
أن ترتب بين المخدم والعامل نفس العلاقات التي كانت
سائدة في المصور الوسطى بين السادة والأنباع . فالعامل يجب
عليه النظافة والاخلاص ، ولا يستطيع بعد أن يتول القناع عن
نفسه بنفسه ، بل يعتبر واقفاً تحت حماية السيد ، وعلى السيد
أن يقوم بحماية مصالحه المادية والأدبية . صحيح أن قوانين العمل
الاشتراكية (مثل قانون الثماني ساعات ، وقانون التأمينات وغيرها)
لم تلغ ، وصحيح أنها ما زالت تطبق ، ولكن لا حماية حقوق
العامل ، بل من وجهة اجتماعية مشتركة ، لأن القضاء على
النزعات المتمردة يؤكد تعاون العمل ورأس المال
فهل يعني ذلك كله أن حماية الفرد قد أُلغيت بشاناً ؟ كلا ؛

ولكن قانون العقوبات لا يهتم بشان الفرد إلا باعتباره عضواً في
(البقية على صفحة ١١٩٨)

ومن خواص هذه النظرية تقرير صنوف المشبهين . وإذا
كان القاضي يمثل الشعب حقاً ، فإنه في زعم أولئك التشريعين
لا يمكن أن يرتكب خطأ قضائياً ، ويكفيه دون أن يفتح القانون
أو يرجع إلى ضميره الشخصي ، أن يستشير ضمير الشعب ،
والشعب معصوم لا يخطئ ، وهو يكاد يتكهن ، وعواطفه هي
التعبير عن العدالة ذاتها

ويقرر قانون العقوبات الاشتراكي الوطني أنه يمكن معاقبة
مجرم لم يتم جرمته ، ولكن « أراد أن يرتكبها » . وفي رأيه
أن الجريمة ليست هي عمل القتل في ذاته بل هي « اعتزام القتل »
ونحن في فرنسا نقاب على « الشروع » في بعض الأحوال ؛ فلا
يعاقب مثلاً ذلك الذي يمس جيب انسان من الخارج بنية
سرقته ، ولكنه يقع تحت طائلة القانون إذا حاول أن يدخل يده
في ذلك الجيب . فهذه الفروق القضائية الدقيقة يخشاها المشرع
الألماني أيما خشية ؛ ولهذا يتخذ الرأي الناقض ويرى أن يضع
تحت نظرية « العزم المهدد » أقل حركة تمازجها الشبهة

وهكذا نرى أن قانون العقوبات الألماني الجديد وكذلك
الاجراءات الجنائية قد بسطت كل التبسيط . وقد أُلغيت
« الظروف المخففة » ولم يعترف « بسبق الاصرار » بحيث أُلغيت
جريمة الهوى والجريمة التي دبرت طويلاً سواء في العقوبة ؛
ذلك أن المجموع يجب أن ينتقم بسرعة وبلا هوادة من أولئك
الذين يعمدون صفوه ؛ وللقاضي أن يوقع عقوبات تبعية بمد تنفيذ
العقوبة الأصلية مثل الجلد والصوم الجبري ، ومصادرة الملك ؛
وهكذا يراد أن يدفع الجاني اللدعن إلى مرتبة انسان منحل من
الوجهة الجسمية والعقلية

وقد ذهب المشرعون النازيون إلى حد اعتناق الروح
الاسبارطى ؛ فالدولة لها الحق « أن تقضي بصفة ادارية بالموت
على بعض الأفراد الذين ليست لهم قيمة جوهرية » فرجل مثل
بيرون (لورد بيرون شاعر الانكليز) يمكن أن يلقى في الماء منذ
مولده ؛ ورجل مثل هلدنلن الشاعر الهام يمكن أن يعدم ؛
ويصرح قانون العقوبات الجديد للطبيب بأن يعدم المريض الذي
لا يرجى برؤه متى طلب اليه ذلك . وبمعكس ذلك فإنه لما كان
الفرد السليم مدينًا بحياته للمجتمع ، يعتبر الاتجار بجريمة ، ويعاقب
الشركاء في محاولته . ثم إنه لما كان السرف أعظم من الحياة ،

الْقَصَصُ

من أساطير الأفريسيين

بسيشيه وكوييد

للأستاذ دريني خشبة

(قصة ما تعرف في العدد الماضي)

فلما كان النسخ^(١) سمعت إلى الباب يفتح ، ويدخل فتى خفيف الخطى ، ويقبل عليها فيحیی أحسن تحية بأرق صوت ، ثم يستأذن فيجلس إلى جانبها وكان الظلام شاملاً ، فلم تستطع بسيشيه أن تتبين وجه الجالس إليها أو خلقه ، ولكنها كانت تسمع إلى وسبق تخرج بصوته الخيون ، وكانت تحس كأن عبرات تكاد تخنقه ، لأنه يريد أن يروح بشيء يمنحه الخجل من البوح به ... واقترب منها ... وأخذنا في حديث شعبي ، ولكن الحياء كان ما يزال يعقد لسانهما ...

واقترب منها كذلك ...

وتعامت الأجسام الزمخمة ، وليس كتماس الأجسام مقرّجاً عن الحب !

وأخذ الحبيب يد جبيته بين كفيه ، فانتقلت الحرارة من هنا إلى هنا ، ثم دما القم من القم ، واستراح الخد على الخد ، وبدأ طوفان القبل ...

وتغم كل من الحبيين بهذه الكلمة السماوية الخالدة :

« ... أنا ... أحبك ... »

« كأنك أنت أيها الحبيب الصغير الذي أقتدنتي من

رائث الموت !! »

(١) النسخ أول ظلة الليل

« أجل يا منية النفس ، ورجية القلب ، عمونة الآله

الرفيق زفيروس »

« أفأنت إله إذن ؟ »

« لا أستطيع أن أذكر لك من ذلك الآن شيئاً ... »

« إذن ما اسمك ؟ »

« ولا هذا أيضاً ! »

« أحب أن أراك ، فهل تأذن بإيقاد المصباح ؟ »

« إذا حاولت أن تربني ، كان فراق بيني وبينك ! »

« أنت ترعيني أيها الحبيب الصغير ... »

« ولم أزهيك ؟ ... ألسنت قد أقتدنتك من الموت ،

وأسكنتك هذا القصر المنيف ، ولست أمّن عليك ! ! »

« برغم هذا فانك ترعيني ... »

« هاتي قبلة ... ودعي هذا الحديث الشاخن ... »

« ... ؟ ... »

وظل يزورها كلما أقبل الليل ، فيمكث معها حتى مطلع الفجر آخذتين في عناق وقُبَل ، وحديث ألد من قطع الروض ، وأرواح من رفيف النسيم ؛ ثم يفصل على أن يعود لمياده من اليوم التالي ... وبسيشيه راضية قانئة ، لا يضيرها ألا تعرف من هذا الحبيب الوفي ... ولا ما يكون اسمه ...

وزهبت تنشق أنفاس البحر فوق الشاطئ الطويل الزهر فلقيت أختها فجأة فرجان من زروق جميل ، فتماقهما عناقاً حاراً ، ويضمرها للقائهما فرح كبير ، وتعود بهما إلى القصر ، وتطوف معهما حذائقه وغرفاته ، وتقف عند الصور والتماثيل ونافورات الزئبق ؛ وتدخلهما « هيكل الحب » كما اتفقت وحبيهما أن يسميا المخذع ؛ ثم تقص عليهما قصتها منذ اعتزامها الانتحار إلى أن تلقاهما ...

وتكون النيرة قد أنشبت أظفارها في خؤادي القتاين ؛

ويكون الحمد قد شاع في نفسيهما الخبيثتين ، فتضمران لها الشر المستطير

« ولكن كيف نطمئن إلى هذا الحبيب يا أختاه ؟ ألا تخافين أن يكون غولاً أو هولة أو سملة ؟ لماذا إذن يأبى عليك أن تنظري إليه ؟ أليس يخشى أن تفزعى منه إذا رأته على حقيقته ؟ أيفرك منه كلامه الناعم الموشى ؟ لا يا أختاه ! نحن نخشى أن يفلأك يوماً أو يجهفوك فيقتلك ... لا بد أن نأخذى حذرك منه ! ولا بد أن تنهزى فرسة يكون غاراً في نوم عميق فتوقدى الصباح وتنظري إليه ، فإن كان وحشاً أو هولة ، فاليك هذا الخنجر المرفق فأغمديه في قلبه واستريحى منه ، وعودى معنا إلى أبينا الملك فإنه جد مشتاق إليك ... »

ودفعا إليها الخنجر المسمم بفيلهما ، وولتا عنها تحتبثان في أجمة دائية ...

وفعل كلامهما في قلب أختهما فعلة ، فلما كان الليل ، وغفا الحبيب الصغير مما ألم به من سكرة الحب ، نهضت بسيشيه إلى مصباحها فأوقدته ، وإلى الخنجر فسرعته ، وذهبت تنظر إلى العاشق البرى ...

فإذا رأت ؟

أجل مخلوق على وجهك أيها الأرض ...

لقد كان ناعماً حالماً ، فيه دعة وفيه فتون ... وملأ الفتاة حباً ... فارتجفت ... واختار الصباح في يدها ... فسقطت نقطة من الزيت المشتعل على ذراع الحبيب فأبقتته ... وفتح عينيه ... فرأى إلى الخنجر المرفق في عين بسيشيه ...

يا قول ...

لقد قفز الحبيب قفزة هائلة ، ورف بجناحيه الصغيرين ، وقال : « بسيشيه .. يا شقية .. ! داعاً .. ! فلن تلقى بعد اليوم ! ! » وشاعت الحسرة في قلب الفتاة فسقطت على الأريكة من الجزع والاعياء ...

ما كاد كيوييد يرف بجناحيه فينادى القصر حتى امتلأ الخدع أرواحاً شريرة طافت مهاجم نفس بسيشيه في شدة وعنف ، وكلما نظرت هنا أو هناك رأت أقنواظت هائلة تنفث الموت الأسود من أنيابها البارزة الحوانى ، ثم أحست كأن القصر يرتجف ويميد ، ويكاد ينقض ، فهرعت إلى الخارج بهرولة ،

وهرعت في إثرها المخاوف والأشجاث ، يحدوها الذعر والفرع الشديد

ونظرت في السماء فلم تجد قرها المنشود تبته وتشكو إليه ، بل وجدت سحُباً قاتمة تنعقد في الشرقين والمغربين ، والودق يخرج من بينها كما تخرج الزفرة من صدر مكروب ! وبدأت العاصفة الهوجاء تزلزل الجزيرة وتعيد بالدُّوح وترفع شياطين الموج فتجرف الدامر واليساب !

وأخذت الرياح الموج تلاحق الفتاة حينما ذهبت ، وترجم وجهها الكاسف السُحُف بجمرات التبرد أبان وكنت

ووهنت أعصابها فراحت تصيح فوق الشاطئ كالذي يتخطفه الشيطان من المس ، فلما لم يلب نداءها أحد ، اشتت نحو القصر ، وأطسوقت بالأسوار تنفذ الباب الكبير الضخم ... ولكن ... هيات ! لقد كان السور كثلة واحدة ليس بها منفذ ، ولم يكن غارقاً هذه المرة في الطوفان الزاخر من أزهار الشير والياسمين والباونيا ، وكان عاليًا على غير عهدها به ، حتى يكاد يستتر وراءه القصر الباذخ ؛ فلما استياسبت من الدخول ، وشمرت بقلها يتحطم ، وبفسها تذهب شمعاً ، استلقت على الكلا ، واستسلمت لنوم ممثلي بالأشباح

وأشرقت الشمس فاستيقظت بسيشيه ، ونلفت حولها فلم تر السور ولم تجد القصر ، وفركت حينها تخال أنها تحلم ، ولكنها ترى الجزيرة جرداء إلا من شجرات قليلة من الشاهبلوط ؛ وإلا من غدير صغير به بقية غير مباركة من الماء الغير ...

ويكون صوابها قد ناب إليها ، فتسيم شطر الشاطئ تنفذ وروده ورياحيته ، ولكنها لا تجد إلا آفاقاً من السراطين الميتة لفظها البحر بفعل العاصفة ، وإلا أكواماً من الودع والحار تجلل كُشبان الرمال الممتدة فوق الجزيرة ، كأنها قوافل من الآل بسيشيه وأشجائها !

« ويلاه !

« لقد حُرِلْتُ إليك أيها الجنة الصغيرة وبردك برْدُ الشباب ، وريمانك ريمان الصبي ، وفي أعطائك نهل سُلانة الحب ، وتحت شطآنك رقص عرائس الماء ، وفي غدرانك تفرق أسوأه الموى ؛ وكل مانك تدب فيه حياة إلىهية فاضرة « أفهمكذا يذبل شبابك ، ويذوى ريمانك ، وينفض حبك

فإذا ساءلته عنهما ، أنكر على " وصرفني برفق ودعة عن الحديث
عنهما ، فأتخذ في أمور آخر . وكان يحمل قوساً من ذهب
ماتقارقه ، وكناثين من حرير فيهما سهام من رصاص وذهب ..
ومادهاني في الليلة المشؤومة إلا أن أراه يثب من النافذة ، فيحلق
في كبد السماء كأن له قصر آفيا .. فبحق زيوس عليكن يا عرائس
الاما أعلستنني من هذا الحبيب ، فأنتن بنات إله مبارك ،
ولا بد أن يعرف أبوكن من أمره كل شيء . . . »

وصحتت بسيشيه ، ونظرت إلى العرائس فرأتن يمدجنها
بنظرات دهشة حائرة ، ثم ينهمن ، ثم لا يحرن جواباً ؟
فقالن لمن :

« أنتن تزعجنني يا عرائس ، فهل هكذا يلقى الضيف لديكن ؟ »
فقالن كبراهن : « لا عليك يا فتاة ، ولكنك كنت أنتن
مخلوقة على وجه الأرض حين عصيت أمر كيوييد ١١ »

- « كيوييد ١٢ ومن كيوييد تمنين ١٣ ؟ »
- « كيوييد بن فينوس ، فهو الذي كان يهواك وكنت
نهرين ١٤ ؟ »

- « كيوييد الآله كيوييد حبيبي ! يا ويح لي . . . لا بد
أن يعود لي إلهي الجليل الحبيب . . . لن تحلو لي الحياة بدونك
يا كيوييد . . . »

هامت بسيشيه على وجهها في أقصى الأرض ، وكلما مرت
بروضة أو غيضة ، وكلما وقفت عند ضفاف نهر أو ألت بحفاني
خدير ، برزت لها عرائس الماء فشكت اليهن ، وسألتهن إن كن
يعرفن أن ياوي كيوييد ؟ وقالت لها عروس :

- « أترين يا فتاة إلى هذا الجبل البعيد الذي يحمل السماء
بروقيه ؟ إذا كنت عنده فتلقيني حتى يعود بان^(١) من صيده فتناق
به ، واخبرني من دموعك تحت قدميه ، فإذا هس لك وبس ،
فأذكر لي حاجتك يقضها لك ، أو يدلك على من عنده قضاؤها »
- « ومن عسى أن يكون بان يا أختاه ؟ »

- « رب المرامي ، وإله الصيد ، وحامي القنص . ألم تقرني
له ؟ ألم يفعل أبواك ؟ »

(١) ورد ذكره في بعض الأساطير باسم كولستيس . وما يزال الرعاة
الأنجليز يحتنون بحاميه بان إلى اليوم

وتقف شطآنك ، فليس يرف فوقك إلا هامة ، ولا يهتف فيك
إلا سدى الوحشة ، ولا تهب ريحك إلا كأنفاس الجحيم ؟ !
« ويلاه ! »

« لقد كنت أفرك عيني " أحسبني منك أيها الجنة في حلم ،
فالآن أفرك عيني " أرى هل أنا من خرابك اليوم في حلم ؟ »
« لقد نعمت بالحب فوقك أيها الجزيرة ، فلماذا لقيت
أختي ؟ ! أين ذهبتا ؟ ! أحسبهما ذراعاً من العاصفة ، وفزعنا
من الزوال ، ففرنا . . . فصر جيل ١١ . . . »

هكذا ظلت تبكي بسيشيه ، وهكذا غبرت بها الأيام فوق
الجزيرة تنتظر أوبة حبيبها . . . ولكن . . . بلا جدوى ١١
وكانت تأكل ثمرات من الكستناء تذهب بها سغبها ،
وترشف من بقية الماء في القدير دشفات تبل بها أوتها ، ثم
تمدو في الجزيرة باحثة عن . . . لا شيء ١١

ووقفت يوماً عند ضفاف القدير تروى ، فاشدها إلا أن
ترى الماء يزداد ويزداد ، والقدير يتسع ويتسع ، حتى تكون على
عُدوة نهر عظيم وافر ، ترخر أمواجه وتجرجر أواذيه . ويدو
لها أن تلقى بنفسها في أعماقه ، لأنها لم تعد تحتل هذا الألم المتصل
والشجن الطويل المعض . . . وانها لتتظر إلى الماء فيجيش قلبها
بالذكريات ، وتفيض عيناها بالدمع ، ويشعب جبينها الكاسف
الحزين ، ثم يتأود غصنها اليابس المحترق ، فتتصدر إلى اليم ،
وتتلففها اللجة

ولكن رب النهر الذي كان وافقاً يسمع ويرى يسرع إلى
الفتاة فينتشلها ، ويصيح بيناته عرائس الماء فيأتين من كل فج
صبيح ، ويفرقن باللاجئة الشقية فيواسيها بكلمات تقفار حناناً
بتفيض رحمة ، ثم يتركها لبنانة يداعبها ويلاعبها

وتأنس بسيشيه إلى العرائس الحلوة ، ولا ينجلها أن تأخذ
معهن في حديث حبها ، فإذا سألها عن صفة حبيبها ، قالت :
« كان صغيراً كالطفل إلا حين يكون في ذراعي ، مستنداً رأسه على
صدرى ، فيكون إذ ذاك أكبر من الدنيا بما فيها من مباحج
ومغائن . وكان طيب الأنفاس ، فما قبلني أو قبلته إلا شممت
عبق الورد في فيه ، وأرج البنفسج في خده . وكان إذا عاتقني أو
عابقتني ، تحسنت له جناحين على ظهره ، صغيرين فاعمين ،

« بل فعلنا . . . »

ونهدت إلى الجبل وكأعابها عُقل من الجنون ، وجملت
تُطوّف به حتى ماتت الشمس إلى الغروب ، فرأت (يان) قادمًا
بدبّ محافريه ، ويرددي الآكام فأظريه ؛ فلما لحها أقبل عليها
دهشًا متعجبًا ، ثم أخذ يتفرس فيها كأعاب بهر حسمها ، وسباه
منظرها . . .

وشكت إليه ، فماها لها منه الاقوله : « تمسة ! أنت غريبة
فينوس ! » فقالت ، وفي عينيها دموع تنحرق منقطعة : « غريبة
فينوس ؟ ومالي أنا وفينوس ؟ » فقال يان : « جمالك هذا جنى
عليك . . . لقد صرف الناس عن ربة الجبال والحب إلى عبادتك
أنت أيتها الشقية ، ولذلك حنقت عليك ، وأصابك من الأذى
ما أصابك . . . إسمي يافتة . . . لقد صررت اليوم ربة الخيرات
ديميتير ؛ هل تعرفينها ؟ أم پرسفونيه ، فتاة الربيع التي خطفها
أخي بلوتو لتؤنس في هيدز ؛ صررت بها فسمعتها تتحدث عن
كيوبيد وهيامه بك ! بك أنت ! أليس اسمك يسيشيه ؟ »

« . . . ؟ . . . »

« تَحْمَلِي إليها إذن . . . إنها ليست بعيدة من هنا . . .
إنها شقيقة رفيقة ، وهي ترى لأمثالك من العاشقات الوامقات ؛
تحدث إليها عن كيوبيد واستمعي إلى ما تقوله لك وتشير به
عليك . . . أترين إلى هذه الثابتة اللطيفة الوارفة ؟ إنها هناك تنتظر
ابنتها في أوتنها من هيدز »

وتحجّلت إلى الفتاة ، ولقيت ديميتير الطيبة الوفور ، فأنصت
تحميها ؛ وما كادت تسرد شكاتها حتى أنهر الدمع من عينيها
الحزينتين ، وتحاذات تغرّت ممشياً عليهما ؛ وتقدمت ربة الخير
فباركت الفتاة ، وطفقت ترش على وجهها الماء من غدير قريب ،
نكان الزهر ينبت حول يسيشيه كلما انثرت قطرات على الأرض ،
فلما أفاقت ، بهرها هذا السرير الريبي من منضور الورد يحف
بها ، ويحنو عليها . . . حنو الرضعات على الفطيم !

وبسمت ديميتير ، وواسيت الفتاة الوالهة وآنسها ، ثم
ذكرت لها أنها رأت كيوبيد بكثرة ذلك اليوم ، وفي كتفه
جرح دلمر أحدثت فيه أمه فينوس ؛ لماذا ؟ لا يدري أحد ؛ -
« . . . فإذا كان لا بد لك من لقاء كيوبيد ، فاذهي إلى فينوس
وتبشّلي إليها ، وادخلي في خدمتها وحسمها ، وأثبتي لها بتفانيك

في طاعتها أنك من عبادها الخلفين ؛ عسى يا بُنَيَّة أن ترضى
عنك ، ويذهب عنك هذا الحزن . . . »

ثم قادتها إلى قصر فينوس ، وزودتها بما ينبت لها من المصح ،
وعادت إلى غابتها الوارفة تنتظر پرسفونيه

وبرهنت يسيشيه على حسن إخلاصها وجيل نوبتها ، وكانت
ربة الحسن تستخثرها فيما لا طاقة لبشر به ، فكانت تقوم بما
تُكَلِّف به وتؤديه خير الأداء

وأعجب ما حدث لها من ذلك أن أمرتها فينوس بالتوجه
إلى هيدز - دار الموتى - واقتحامها ، ثم لقاء پرسفونيه ، ربة
الربيع ، وزوج بلوتو ، وسؤالها صندوق الطيب الذي تدهن
منه العجوز الشمطاء ، فيرتد إليها صباها ، ويتدفق ماء الشباب
في أعطافها ، وتعود كما كانت ، شرح سبي ، وعنفوان شباب ؛
وأسقط في يد يسيشيه ؛ ولم تدرك كيف السبيل إلى هيدز ؛
ولكنها حين ذكرت پرسفونيه ، بدالها أن تذهب فتستشير أمها
ديميتير عسى أن ترشدها أو تزودها خالص نصيحتها . فذهبت
إلى الفتاة ، ولقيت لحسن حظها ديميتير تودع ابنتها ، تعود
أدراجها إلى هيدز ، إذ كان الربيع الملو قد صوّح ، وأزفى
الشتاء بيرده وزمهرره . . .

وهشت لها ديميتير ، وعقدت بينها وبين ابنتها أواصر
الصداقة ، ولما حان موعد الافتراق ، أبدت يسيشيه رغبته في أن
تسحب ربة الربيع لتؤنسها في ظلمات دار الفناء ، فلم تعارض
الفتاة ، بل أذنت لها راضية ^(١)

وسارا بين صفين من أرواح الموتى تضي وتنشد . . . وتبكي ؛
وكم كان يحجب بلوتو شديداً حين لمح الفتاة الرشيدة الهيفاء
تسير إلى جانب زوجته ، وبلغ به التأثير مبلغه ، فقادها غرابة
المرش الظلمة . . .

وتلطفت يسيشيه كسّات مليكة هيدز صندوق الطيب
التيمن ؛ ؛ فوجت پرسفونيه ؛ وكانت على وشك أن ترفض هذا
الطلب ، لولا أن ذكرت الفتاة أن فينوس هي التي أرسلتها لطلبه
وتجيبها به . فنهضت پرسفونيه إلى دولا ب قريب ، وعادت
بالصندوق ، ترتجف به يدها الماحية الجليدة ، وقدمته للفتاة وهي
تقول :

(١) في بعض المبادر أن زفيروس هو الذي قاد الفتاة إلى هيدز

بقبلة اهتز لها الروض ، وطرب الورد ، وشاعت في الطبيعة
الضاحكة أسراً وسجراً !!
« أختاه !! الهضى !! أنظري الى !! هانذا كيوييد !! هلى
فلن نفرق بعد اليوم !! »

وأغذا السير ، حتى اذا كانا في دولة الأولمب صاح كيوييد
في معشر الآلهة : « أن اتهدوا أيها الأرباب ، لقد اخترت
بسيشيه الجميلة زوجة لي مباركة . . . » وطرب الآلهة ، وأقيم
المهرجان الفخم ، ورقصت ديانا ربة القمر ، وعزف أبوللو على
موسيقاه ، وتقدمت فينوس فباركت الزوجين الحبيين ، ورسمت
بسيشيه ربة للروح الخالدة التي لا تموت . . . ومنذ ذلك اليوم وهي
تُرف بأجنحة فراشة جميلة في جنة الأولمب ، وال جنبها
حبيبها كيوييد .
ومرئى ضئبة

وزارة المعارف العمومية

اعلان

بمناسبة ضم مدارس مصلحة الحدود لوزارة المعارف
العمومية ابتداء من السنة المكتبية المقبلة ٣٥ - ١٩٣٦
تعلن الوزارة عن خلو الوظائف الآتية :

عدد

- ١ - مدرس أدبي لمدرسة العريش .
 - ١ - « » علمي لمدرسة مرسى مطروح .
 - ١ - « » لثة عربية لمدرسة الخارجة .
 - ٢ - « » أدبي لمدرسة الخارجة .
 - ٢ - « » علمي لمدرسة الخارجة .
- وسيكون تعيين هؤلاء الموظفين في الدرجة السابعة
بالمرتب الذي يتناسب مع مؤهلاتهم الفنية ، ويصرف لهم
علاوة على المرتب بدل إقامة بواقع ٢٠ ٪ من المرتب ،
بشرط ألا يزيد على خمسة جنيهات ، ولا يقل عن جنيبتين ،
فعلى الراغبين أن يتقدموا بطلباتهم الى مراقبة التعليم الابتدائي
رأساً في ميعاد لا يتجاوز ٣١ يوليو الجاري مع ملاحظة
أن الطلبات السابقة لا يلتفت اليها

†

« لا تفتحجه . . . لا تفتحجه أيتها الصغيرة !! »

واستأذنت بسيشيه ، وعادت أدراجها إلى . . . هذه الدار
الأولى . . .

وفي طريقها إلى قصر فينوس ، ذكرت كلمات ربة الجلال عما
يحتويه الصندوق من دهان يرد القليل منه جمال الشباب وريمان
الصبي . . . وذكرت كذلك تلك الليالي الطوال التي ظلت فيها
سُهداة العبين تبكي كيوييد وتحن إليه ، حتى شَفَّها الوجد ،
وأوهنها السقم ، وبرز بها الهيام الشديد ؛ فحدثت إلى نفسها
تقول : « فلم لا أذهن بقليل منه وجهي وبشُرقي ؟ ولم لا أرتد
جميلة كما كنت ، مادمت أطمع في لقاء كيوييد ؟ إن ربة هيدز
حذرتني من فتح الصندوق ، لا أدري لماذا ؟ فإذا كان ما به شر ،
فلم تريد فينوس الجميلة ؟ لا لا بد أن أنطليب به ، وليكن بعدها
ما يكون !! »

وداعبت أناملها الصندوق ففتحته . . . ولكن . . .
والأسفاه !! لم يكن به غير هذا الروح الشرير المنكر . . . روح
النوم . . . ولقد وثب في وجه بسيشيه فحلق في عينها الزرقاوين
الصافيتين ، ثم مامى إلا لحظة حتى انكفأت المنكبة على
الحشيش المُنْدَى نفض في نوم عميق . . .

وكان كيوييد ينتزه في الحدائق المجاورة ، فادهاه إلا أن
يرى ملاكه المحبوب ممدداً على الكلا ، وصدره يعلو ويهبط ،
كأن كابوساً مستقر عليه

ودنا إليه الحب من بسيشيه ، وسرعان ما هاجت به
ذكريات غرامه الأول ، وثار في قلبه الحنين إلى الليالي المقمرة
الحلوة التي كان يقضيها إلى جانب الرشا الغرير ، الذي يترشح أمامه
في قبضة الروح الشرير . . . روح النوم !

ونظر كيوييد بعينه السحريتين ، فرأى الروح يصارع
بسيشيه صراعاً هائلاً . . . فثارت فيه نحوه الوقاء ، وأنفذ إلى
المدو مسهماً متتابعة متلاحقة ، حتى قهره ، واضطره إلى العودة
من جديد إلى الصندوق الصغير ، وما كاد يستقر فيه حتى أغلقه
عليه ، ودفنه في غور من الأرض

ثم تقدم إلى حبيته ، وطلق روح على وجهها ، ثم أيقظها

البريد الأدبي

حول كتاب فتح العرب لمصر

عزى الأستاذ الفاضل صاحب (الرسالة)

قرأت اليوم في (الرسالة) الغراء صحيفة النقد التي تسميها (الرسالة) صحيفة «الكتب» ، وقرأت فيها للأستاذ الجليل العلامة محمد بك كرد علي كلمتين ، أحدهما عن كتاب «فتح العرب لمصر» ، والثانية عن كتاب «فنون الطهي الحديث» . ولقد عتاني أن أقرأ ما كتبه الأستاذ الفاضل عن كتاب فتح العرب لمصر بنوع خاص ، لأن ذلك الكتاب حبيب إلى نفسي لمسبق بها . وبدأت الأستاذ الفاضل يذكر عن الكتاب بعض حسنه فشكرت له ذلك ، فالكتاب جدير من الناطقين بالعربية بكل تقدير وإعجاب ، إذ هو مثل عال من أمثلة البحث الدقيق العادل ، فوق ما يمتاز به من قوة الأسلوب وجماله في لغته ثم عرج الأستاذ على الترجمة والترجم ، فنفضل بأن وصف الترجمة بأنه اعتنى عناية شديدة «بتجويد ترجمته على صحتها لما حوت من النقول العربية وغيرها من اللغات ليرد الروائع إلى أصلها» . ثم ذكر ما ساءه تحريفاً في الأسماء ، وذكر من ذلك أمثلة على أني وإن شكرت له قوله إن الترجمة قد عني بالترجمة عناية شديدة «أرجو أن أراجع في زعمه أن ترجمة (Edessa) تكون معرفة إذا قلنا هي «أذاسا» ، فإن إطلاق ذلك الاسم على المدينة كان مقصوداً ، فالمدينة معروفة بالرها وبأذاسا ، والاسم الثاني أقرب إلى التسمية العامة في اللغات المختلفة ، فكان هذا سبباً في تفضيل «أذاسا» على الرها ، وأما رجاءموس أو فرغاموس فلا أدري وجه التحريف فيها ، فإن الباء والقاء والجيم والعين كانت دائماً موضع اختلاف في وضع النرب للأسماء ، ولا سيما المحدثين منهم ، وقد آثرت أن أكتب الاسم بالعربية قريباً كل القرب من الاسم القديم الذي كان ولا يزال معروفاً يطلق على المدينة التي كانت في آسيا الصغرى . وأما «افس» و «افيدوس» فلم أفطن إلى وجه التفرقة بينهما ، ولا إلى وجه التحريف في

الاسم الذي أوردته في الترجمة ، فليس بين الكلمتين من فارق

إلا إثبات خركات الكلمة على النحو الذي يسهل النطق بها

على أن الأستاذ الفاضل لم يكتف بعد ذلك بتوجيه النظر إلى

هذا التحريف الذي زعمه ، بل ذكر كلمة عامة عن «هناك

قليلة» لا يخلو منها كتاب منقول إلى لغتنا من لغة أعجمية ؛

وكنت أود أن يجعل حضرة من ذلك الترجمة بحثاً فيما بوجه فيه

الترجمة وجهة سالحة ، غير أنه اكتفى بالتعميم والإشارة والإيجاز

في موضع كان الأوجب فيه الأفاضة والإطناب ، ذلك بأن عمل

الترجم إن هو إلا النقل ، وما يكون نقله جديراً بالتقدير إلا إذا

سلم من الصوب التي تؤخذ على أساليب اللغات الأعجمية . ولعل

اشتغال الأستاذ الفاضل بالكتابة عن الكتاب الآخر (فن

الطهي الحديث) في نفس اليوم قد جعله لا يجد الوقت لذكر

شيء من تلك الهنات ، فرجاؤنا أن يتفضل بإعادة الكرة وبيان

ما أجل ؛ ورجاؤنا كذلك أن يبين وجه النقد حتى نكون على بصيرة

من رأيه ، نفعنا الله بعمله وفضله وعلّم أمثاله من أعلام العلماء

محمد فريد أبو حديد

وفاة دريفوس

من أنباء فرنسا الأخيرة أن الكولونل ألفرد دريفوس قد

توفي في الخامسة والسبعين من عمره ، ولم يشتهر في تاريخ فرنسا

المعاصرة باسم بقدر اسم دريفوس ، ولم يقترب باسم آخر مثل ما اقترب

به من الحوادث والحركات المظالم ؛ كان اسم دريفوس منذ أربعمائة

عاماً ملء الأسماع في فرنسا والعالم بأمره ، وكانت القضية الشهيرة

التي ارتبطت باسمه ، وآتهم فيها ظلاً بالحياة ، أعظم قضية عرفها

التاريخ من حيث اتساع مداها ، وتشعب نواحيها ، وتمتد

إجراءاتها ، وما أثارته مدى عشرة أعوام في فرنسا من الأحقاد

والشموات التي كادت ترزُل أسس الحياة العامة فيها وتثير ضرام

الحرب الأهلية . وقد كان دريفوس يهودياً ، وهو سر المسألة

كلها ؛ فقد كانت الخصومة السامية أو حركة العداء ضد اليهود

التاسع وهو غير الحافظ السخاوى) اه وذلك لأنه ذكر في فاتحته أن اسمه محمد بن احمد الحنفى ، وقد ذكره ابن خلوف في طبقات المالكية وأنه فرغ من تأليفه سنة ست وخسين وتسعمائة ، وأنه كان حياً سنة ستين وتسعمائة ، فنبه كتاب تحفة الأحباب للحافظ السخاوى التوفى بالمدينة المنورة سنة تسعمائة واثنين خطأ دخل على كثير من أهل العلم يجب ألا يضيع ولا يفوت على البحثة عنان . . . فلذلك لزم التصحيح ، وإنى أحيل الأستاذ عنان على كتاب مصرع الامام الحسين ليزداد علماً والسلام م
محمود عباسى أمير الكتاب (جرجا)

مترى الشر بالنجف

تألف في النجف هذا المتندى من صفوة العلماء والأدباء للسمى إلى تعميق الثقافة الإسلامية والعلمية ، وإحياء لغة الصاد ، ونشر المعارف الدينية والأخلاقية في ربوع البلاد بكل ما لديه من شتى الوسائل المشروعة
وها هو ذا اليوم في أول أدواره يضع الخطط التي تساعد على إنجاز مهمته العالية وتحقيق رغبته المنشودة ومن بينها دعوة العلماء والمؤلفين إلى مشاركته ومساعدته بأقلامهم وثروتهم العلمية ويذيع مجلس إدارته أنه مستعد من الآن لتلقى كل سؤال أو استفتاء ديني أو علمي يرد عليه فيحيله إلى اللجنة المختصة للنظر فيه ولاستجواب العلماء ممن تشرف المتندى بانتسابهم اليه ومن غيرهم من العلماء الأعلام

المؤتمر الدولى السادس لتاريخ الأوبان

قرر مجلس الوزراء اشتراك الحكومة المصرية في المؤتمر الدولى السادس لتاريخ الأديان الذى سيعقد بمدينة بروكسل بين ١٦ و ٢١ من شهر سبتمبر سنة ١٩٣٥ ، وندب الأستاذين مصطفى عبد الرازق وأمين الخولى لتمثيل الحكومة في هذا المؤتمر ، وربما مثلاً الأزهر بعد ذلك في المهرجان الذى ستقيميه جامعة بروكسل في أخريات شهر سبتمبر بمناسبة احتفالها بالعيد الثانى الثالث على انشائها

أحب شاهرة الى الانكليز

احتفل أخيراً فى انكلترا بالذكري الثوية لوفاة ممز «هيمانس» الشاعرة المؤثرة التى تعرف فى الأدب الانكليزى «بحببية انكلترا»

يومئذ على أشدها في معظم البلاد الأوربية ، وكانت الكنيسة والمسكينة في فرنسا تضطربان بهذا العداء ، وكانت قضية دريفوس نفثة من نفثات هذه الحركة التى أريد بها القضاء على نفوذ اليهودية في السياسة والجيش ؛ فاتهم دريفوس الضابط اليهودى (سنة ١٨٩٦) بالخيانة العلية ، وبأنه يقدم إلى بعض البلاد الأجنبية (ألمانيا) معلومات عن الدفاع الفرنسى ، وضبطت ورقة سميت فيما بعد «بالبردرو» نسبت إلى دريفوس ، وحكم الضابط البرى وقضى عليه ظلماً بالنفى إلى جزيرة الشيطان ؛ ولكن العدالة لم تعمد أنصاراً ؛ فقد أثار خصوم المسكينة وخصوم الكنيسة على هذا القضاء الظالم دعاية شديدة ؛ وبذلت جهود قضائية وسياسية فادحة لتبيان براءة الضابط اليهودى ، وتبين فيما بعد أن «البردرو» قد زور عليه ؛ وما زالت الحركة بين «الدريفيوسيين» وبين الوطنيين خصومهم تضطرب وتنتقل من دور إلى دور حتى تقرر إعادة النظر في القضية مرة بعد مرة ؛ وتزل إلى للمركة كتاب عظام مثل فرونتسوا كوييه في جانب الوطنيين ، وأميل زولا في جانب «الدريفيوسيين» ؛ وأرسل اميل زولا صيحته الشهيرة : «إلى أنهم ا» ؛ أى يتهم القضاء والمسكينة بالتآمر والتروير ، واستمرت المركة نحو عشرة أعوام أعيد النظر خلالها في القضية عدة مرات ، وانتهت أخيراً بحكمة التقض بأن قضت ببراءة الضابط اليهودى (سنة ١٩٠٦) وردت إليه مراتبه وحقوقه ، وأسدل الستار على تلك المأساة الشهيرة التى هزت حياة فرنسا العامة أعواماً طويلاً
هذا وسنفرد في فرصة قادمة فصلاً خاصاً لهذه القضية الشهيرة ، التى تعتبر من أعظم قضايا التاريخ

السخاوى

سيدى الأستاذ . . . قرأت بالرسالة بالعدد ١٠٤ كلمة الأستاذ البحثة مقريزى هذا المصر محمد عبد الله عنان في ترجمة السخاوى ما لفظه : (ونجد أخيراً فى تراث السخاوى أثرين من نوع خاص ولهما أهمية خاصة ، وقد انتفى كلاهما إلينا : أولهما كتاب تحفة الأحباب وبضية الطلاب . فى الخطط والمزارات والبقاع المباركات) الخ . . . والواقع أن هذا الكتاب كما ذكر العلامة النبهانى فى كتابه (جامع حكرامات الأولياء) ليس للحافظ السخاوى إذ قال عاطفاً على ما استمد من الكتب ما لفظه : (ونحفة الأحباب فى الكلام على الأولياء المدفونين بمصر للسخاوى من أهل القرن

نظريات جديدة

(بنية المنشور على صفحة ١١٩٠)

الجماعة . وعلى هذا فإن الملكية الفردية لا تجب حمايتها إلا بقدر ما يديه المالك من السداد في ادارتها بحيث تعاون في تحقيق الخير العام . وفي القانون الفرنسي ما زالت تعرف للملكية بالترديد الروماني القديم ؛ فهي الحق في أن تمتنع بشيء وأن تستعمله أو تسيء استعماله ؛ والواقع أن هذا الحق قد قيد في العهد الأخير بقيود ما زالت في ازدياد . ولكن المنظرين يرون إلغاء المبدأ ذاته ؛ فالملكية الفردية لا يعترف بها ، وإنما يعترف بوضع اليد على الأملاك ، بشرط ألا يتصرف الفرد فيها إلا في صالح الدولة وكذلك الأسرة تحميها نفس المبادئ العامة ؛ فإنه يحظر على كل فرد « أن ي تلف أو ينقص كفايته لانتاج النسل » وقد ذهب المنظرين بعيداً في تحديد واجب الفرد نحو الأمة ، فقررُوا أن التضامن اجباري

تلك هي الأسس الجديدة لهذا التشريع الهائل ؛ وقد اتبع المنظرين الآن اجراءات مما حكم التحقيق (التفتيش) لكي يصلوا الى غايتهم بأية وسيلة ، وهي تحقيق خير الجماعة القومية وسيادتها ، فجعلوا من القاضي شخصية مطلقة السطة ، وجعلوه مشرفاً دائماً على أخلاق الفرد ، فمن يحاول غير الزعماء أن يميز نفسه من المجموع ، كان عرضة للقبض والعقاب وإذا كان في هذه المبادئ ما يروع ، فذلك لأننا منذ عصر الأحياء ، ومنذ عصر الثورة الفرنسية بنوع خاص ، قد شهدنا القوى الفردية تنمو وتتسع الى أعظم حد ، ولم يفعل الإصلاح الاشتراكي في عصرنا شيئاً لوقفها . واليوم وقد انتهت الفردية الى هذا الافراط ، فإن الرجة التي كانت تبدو مستحيلة بالأمس تصبح اليوم محتومة . ذلك أن الحرب ، والأزمة الاقتصادية ، وروح الأثرة المتسلطة على المنتجين ، وكبرياء عظماء الفنانين ، قد أدت الى الرجة الجماعية الحاضرة ؛ وسوف تنتهي هذه النزعة بلا ريب الى صنوف جديدة من الافراط ، والى تناسق لا يطاق . ولعلنا نرى الفردية والنزعة التعاونية وهما النزعتان الجوهريتان المتناقضتان اللتان تتجاوزان الانسان ، تنتهسان ، وتشرفان بالتناوب على الحركات الاجتماعية ، دون أن يتحقق بينهما توازن ما ؛ والتوازن كمال يناقض الحياة ذاتها (. . .)

وكانت وفاتها في مايو سنة ١٨٣٥ . وهي شاعرة العواطف ، وشاعرة الأمومة الرقيقة ، ومسررات الأسرة والودع والرضى ؛ وما زال شعرها الرقيق في كتابها « كازا يانكا » و « قبور العائلة » مثلاً للنظم الأنيق المبدع الذي علاّ القلب سحراً وتأثراً . وكانت مسر هينانس أستاذة للخيال الواضح والصور الرقيقة والانفعالات العميقة ؛ وكانت تنبؤاً في عصرها مقاماً عظيماً في الشعر ، ولو أن أسلوبها اليوم قد عفا ؛ وكانت ثقافتها الواسعة ، ومواهبها الفنية موضع الإعجاب ، وكانت تشتهر بالأخص بخلاصها الرقيقة وجلدها ورقتها وتواضعها ، حتى كانت تحمل عبادة العصر مثل وردسورث وشيللي وبروننج ويرون على احترامها وإكبارها . وكانت ظروف حياتها المؤثرة تزيد في هذا التقدير ، فقد كانت مسر هينانس تنظم لتعيش ، ولم يكن يهمها اختيار الجيد من الشعر ، وإنما كانت يهمها اختيار أكثر النظم قبولاً وانتشاراً

وقد قطعت مسر هينانس حياة قصيرة مؤثرة . فقد تزوجت الكبتن هينانس في الثامنة عشرة ، ولم تعض ستة أعوام حتى رزقت منه أربعة أولاد ، ثم لم يلبث أن غادرها وحيدة . وهنا يبدو نيل هذه الشخصية ، فقد احتملت كل أعباء الحياة صابرة جلدة ، لا يضلها جمالها الباهر عن الطريق السوي ؛ ومصرعان ما ذبل هذا الجمال في حياة ملتها الشجن وهموم الأسرة ؛ وفي سن الحادية والأربعين غادرت مسر هينانس هذه الحياة بعد أن طبعت أمومة العصر بطابعها ، وتركت لجنسها تراثاً ما زال يحمل على التقدير والاكبار

استمرالك

كتب إلى جماعة يسألوني عن مؤلفات الشيخ بدر الدين الحسيني رحمه الله عليه فحققت عنها فإذا هي قد احترقت مسوداتها حين احترقت مكتبة الشيخ . ولست أعرف للشيخ مؤلفاً بآياً . أما الفقرة التي سقتها بين يدي مقالتي عن الشيخ في (الرسالة) الخامسة بعد المائة فهي من ترجمة الشيخ المنشورة في جريدة ألفباء الدمشقية صبيحة وفاته مكتوبة بقلم أستاذ كبير من كبار تلاميذ الشيخ رحمه الله

وقد كتبت هذا التنبيه كيلا يسجل في (الرسالة) ما يوهم غير الحقيقة . و (الرسالة) سجل خالد . ومن حق (الرسالة) على كتابها ألا يكتبوا فيها إلا حقيقة ، ومن حق قرائها عليها ألا يجحدوا فيها إلا حقيقة هي النظاري



١ - مقالات الاسلاميين والمعترف المصلين :

لأبي الحسن الأشعري^(١)

٢ - التبصير في القراءات السبع :

لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني^(٢)

للأستاذ محمد بك كرد علي

اعتداء بعض أهل المذاهب على كتب مخالفهم ، ومنها أن المذاهب والمدرسين الذين كان جلُّهم أن يضبطوا قواعد كل علم بأقصر لفظ ، عمدوا إلى تهذيب مؤلفات من سبقهم ، وتنسيق المباحث وترتيبها ، ووصل كل بحث بما يجانسه ، وضم كل فرع إلى أصله واختصروها لإثارة للايضاح والتقريب ، وتسهيلاً للتعليم والتعلم ، فآثر المحصلون كتبهم على الكتب القديمة من أجل ذلك فصارت المؤلفات السابقة كأنها منسوخة باللاحقة فذكرت ونسيت

وكتاب مقالات الاسلاميين بحث مستوفى في المذاهب والفرق الاسلامية ، لم يستعمل فيه مؤلفه السباب والمهاترة على ما وقع في مثل ذلك ابن حزم والبغدادى وغيرهما ممن كتبوا في مناقشة أهل الأهواء وأصحاب المقالات . فالأشعري عمد الى لسان العلم يستخدمه في ذكر مقالات مخالفه ؛ وقد حوى كتابه فوائد تاريخية وسياسية ولاسيما في تدوين وقائع من طالبوا بالخلافة من العلويين في كل عصر ، وفي أحكام الإمامة واعتقاد أهل الفرق فيها ، وفي الحكمين والحكم عليهما بما فعلا . أطلق في كل ذلك العنان لقلبه حتى لا تكاد تستبين أن المؤلف خالف أصحابه المعتزلة في شيء ، بل هو معتزلي تربية ومنشأ ، وربما جاءه الفيض من الأخذ عن علمائهم ، وإلا كان فقيهاً عادياً من فقهاء عصره ومحدثيه

وفي الكتاب وصف دقيق لمسائل علم الكلام وما اختلف فيه أرباب المذاهب ، كتبه بلمحة سلسة يتفهمها لأول وهلة حتى من ليس له أنسة بمثل هذه الأفكار والبارات ، وذلك لأن المؤلف هضم ما تعلمه وتمثله ، فوصفه بدقائقه وصفاً قريباً من الأذهان . وهذه الموضوعات من أبحاث قدماء العلماء ، واليوم لا يهتم لها إلا خواص الناس ومن هم بسبيلهم من طلاب العلم الديني

والكتاب في مجلدين بلنا أكثر من ستائة صفحة ، هذا عدا الفهرس الذي وضعه الدكتور ريتز في أسماء الرجال والنساء ، ذكر فيه المكان الذي وردت فيه تراجمهم تسهيلاً على القارىء ،

في مطبعة الدولة في استانبول طبعت لجنة « النشريات الاسلامية لجمعية المستشرقين الألمانية » هذين الكتائين المعتبرين . نشر الكتاب الأول منهما : العلامة ريتز . وكتب الأشعري مفخرة أهل السنة والاستقامة على كثرتها لم يطبع منها سوى كتابين في الهند : « الابانة عن أصول الدين » و « استحسان الخوض في الكلام » وهذا الكتاب في مقالات الاسلاميين ، هو الذي عني بتصحيحه والتعليق عليه ، ووضع فهرسه السيد ريتز ، وقال فيه : إنه مهم في إياه لمعرفة فرق أهل الاسلام ، لأن تأليفه أقدم من « الملل والنحل » للشهرستاني و « الفرق بين الفرق » لعبد القاهر البغدادي و « الفصل في الملل والأهواء والنحل » لابن حزم الظاهري ، وأن الأشعري أدركه التأخيرين من المعتزلة وغيرهم من أهل المذاهب ، فاضطر في نقل بعض ما ينقله عن أوائلهم إلى الأخذ من الكتب المؤلفة قبله في مقالات الناس مثل مقالات الكمي والكرايسى واليمان بن رباب وزرقان وغيرهم ، وهذه قد ضاعت كلها

وقد علل الناشر ضياع الكتب بقوله : إنه كلما كان الكتاب أقدم عهداً كانت نسخه أعزَّ وجوداً وأقلَّ عدداً ، وذلك لمدة أسباب : منها استيلاء الفناء عليها بتقدم العهد ، وجريان حكم الزمان عليها بالحو والافساد ، ومنها ضياعها وتلفها عند استيلاء الأعداء على البلاد وجنائهم على الكتب بالاحراق والانحراق ، ومنها

(١) مات سنة نيف وثلاثين وثلاثمائة (٢) التوفى سنة ٤٤٤ هـ

للبحث في تنوع اللغات واختلافها بحسب الأقطار والأمصار ،
ببني له أن يتتبع علم القراءة والتجويد ، ومن شرع في درس
معاني القرآن ، واستقصاء لطائفه واستخراج حقائقه ، ثم اعتمد
على القراءة الوحيدة التي يجدها في المصحف الذي بين يديه فقط
من غير التفات إلى روايه الأئمة الآخرين ؛ فقد غفل عن أمر
ذی بال اه

والمؤلف كان شيخ مشايخ القرنين في الأندلس ، رحل في أخذ
القراءات عن الأئمة في الشرق وكان هو من الأئمة في علم قراءة
القرآن ، وطرقه وروايته وتفسيره ومعانيه وإعرابه ، ولم يكن في
عصره ولا بعده من يضاهيه في قوة حفظه وحسن تحقيقه ،
وتقل عنه أنه كان يقول : ما رأيت شيئاً قط إلا كتبت ، وما
كتبت إلا حفظته ، ولا حفظته فنسيت ؛ وكان أيضاً عارفاً بعلم
الحديث وطرقه وأسماء رجاله ، وبارعاً في الفقه وسائر أنواع العلوم «
خلف فيما قيل مائة وعشرين مصنفًا ، لا يزال بعضها محفوظًا في
بعض خزائن الكتب في الغرب والشرق ، واعتمد الناشر في
طبع كتاب التيسير على ست نسخ منها ما هو في دار الكتب
ببرلين وفي دار الكتب في مونيخ وفي خزانة كيندن وبعض
خزائن استانبول

وكتاب التيسير كما قال فيه مصنفه مختصر في مذاهب القراء
السبعة بالأمصار ، يتضمن من الروايات والطرق ما اشتهر وانتشر
عند التالين ، وصح وثبت عند المتصدين من الأئمة المتقدمين .
افتتح كتابه بذكر أسماء القراء والتالين عنهم ، وأنسابهم وكنام
وموتهم وبلدانهم ، واتصال قراءتهم وتسمية رجالهم ، واتصال
قراءتنا بيمينهم ، وتسمية من أداها إلينا عنهم رواية وتلاوة
وأنبغ ذلك بذكر مذاهبهم واختلافهم

محمد كرد علي

ومشور

وهناك فهرس بأسماء الفرق والطوائف ، وثالث بأسماء البلدان
والأماكن . وقد تجلى التوفيق والعناية في كل صفحة من
صفحات هذا الكتاب الذي بعدد بلا جدال من الأمهات في
هذا الموضوع

الكتاب الثاني هو « التيسير » في القراءات السبع للإمام
أبي عمرو عثمان بن سعيد اللخمي ، نشره الملامه برنزل وقال في المقدمة
التي وضعها له بالعربية : « إن علم قراءة القرآن أقدم العلوم
الاسلامية نشأة وعهدًا ، وأثرها منزلة ومحدثًا ، وكان أول
ما تعلم الصحابة من علوم الدين حفظ القرآن وقراءته ، ثم لما
اختلف الناس في قراءة القرآن وضبط ألفاظه مست الحاجة إلى
علم يميز بين الصحيح والتواتر ، وإنشاذ النادر ، ويتقرر به ما يسوغ
القراءة به وما لا يسوغ ، وقاية لكلماته من التحريف ، ودفعًا
للخلاف بين أهل القرآن ، فكان ذلك العلم علم القراءة الذي
تصدر لتدوينه الأئمة الأعلام من المتقدمين

قلل وفي الحق إن تدوين علم القراءة أفاد المسلمين فائدة لم تحظ
بها أمة سواهم ، وذلك أن البحث في مخارج الحروف والاهتمام
بضبطها على وجوهها الصحيحة لتيسر تلاوة كلمات القرآن على
أفصح وجه وأبينه ، كان من أبلغ العوامل في عناية الأمة بدقائق
اللغة العربية الفصحى وأسرارها ، وكانت ثمرة هذا الاجتهاد
والجهد أن القراء تشرّبوا بجزايا اللغة العربية وقواعدها ودقائقها .
ومما يؤيد ذلك أن الكثيرين من قدماء النحويين كانوا مبرزين
في علم القراءة ، كما كان الكثيرون من أئمة القراء كأبي عمرو
والكسائي يارعين في علم النحو

ويرى الناشر أن على كل من يتصدى للنظر في تاريخ اللغة
العربية ودرس المسائل التي تتناولها كتب النحويين ، أو

(اعلان بيع)

في ٢٩ يوليو سنة ١٩٣٥ الساعة ٨
بناحية محلة داود مركز شبراخيت وفي
أول أغسطس سنة ١٩٣٥ بسوق
شبراخيت سيبيع مواشي ملك عبد السلام
ابراهيم الحاج بالناحية كطلب مصطفى
عبد الرحمن رزق بعنقشة أبو قير وطاه
المبلغ ١٢٠ قرش صاغ بخلاف النشر
تفاداً للحكم بقرعة ٤٥٢ سنة ١٩٣٥
فقطي راغب الشعراء المحضون

التزويج المغنطيسي ١٠

صحيفة بالصور - كتاب علمي عملي

فراوة الأفكار وعلم نفسية
سلكات العقل الباطن
سريز التزويج بالصور

لأستاذ زليم سريز الحماي بمصر
شايخ المزة البرلاقية رقم ١٥٦ ، البتة

الاسپرانتو Esperanto

كل القواعد - ومفردات تبلغ ٢٠٠٠ كلمة
نظير ٢٠ ملياً طوابع بريد مصرية أو قسيمة للجوابه -
اطلب النشرة بقرعة ٣٠

مدرسة الاسپرانتو بالرسالة ص . ب ٣٦٣ بور سعيد